الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبيــة
وزارة التعليــم العــالي والبحــث العلمـي
جــامعة محــمد خيضــر – بسكرة –

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

دور الكلمة القرآنية في تصوير المعنى

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص:علوم اللسان العربي

إعداد الطالبـة :
شيماء محمدي

إشراف الأستاذة :
زينب مزاري

السّنة الجامعيّة: 1436 / 1437 هـ
2015 / 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفـــان

الشكر لله أولا وأخيرا

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانهِ ومجدهِ والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلىّ الله عليه و سلم وبعد:

يقضي واجب الوفاء أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذتي الفاضلة **((زينب مزاري))** عرفاناً ووفاءً لجهودها القيمة وتوجيهاتها ونصحها ، والتي كان لها الأثر الكبير في إبراز هذا البحث بهذا الشكل. فجزاها الله كل الخير. كما يطيب لي التقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أساتذتنا الأعزاء في قسم الأدب العربي الذين كانوا مصدر عطاء للعلم والخُلق خلال مسيرتنا الدراسية.

وفي الختام أتوجه بالشكر والتقدير لجميع من أسهم في انجاز هذا العمل على ما أبدوه من تعاون ومشاركة في إتمام هذه المذكرة.

وفق الله الجميع لما فيه خير الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مقدمة

القرآن الكريم أجل الكتب السماوية قدرًا، وأعذبها نظمًا، وأغزرها علمًا، نزّله الله تعالى قيمًا مفصلاً بينا،﴿ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ [الكهف : 4]، اجتثّ جذور الشرك، وأزال حجب الريب والشّك، متفرداً بما يحويه من تناسق لفظي ومن معانٍ لها من التأثير ما يثير الوجدان ويؤثر في التفكير،لطبيعة النفس البشرية، التي تنقاد وتخضع لما يفرزه ذاك التناسب والتآخي بين فخامة اللفظ ورقي المعنى.

ويتميز بالإيجاز، بجمعه الكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، فقد بلغ ذروة البلاغة وسنامها، كما حوى أسرار البيان بما امتاز به من أساليب تأخذ بالألباب وتسحر العقول.

ولمّا كانت الكلمة مخزن الفكر ويُنبوع الروح،كان لها الدّور الفعّال في إبرازها للدّلالات الكامنة وتصويرها للمعاني، تبثّ فيها روح الحياة، تجعلها مشاهد مجسّدة مفعمة بالحركة ولمّا اكتست (الكلمة) هاته الأهمية، كان البحث تواقًا لمعرفة دورها في تصوير المعاني القرآنية، وتجسيدها موسوما بـ : (**دور الكلمة القرآنية في تصوير المعني**).

وقد تضافرت عدة أسباب في اختيار هذا الموضوع أهمها :

- مكانة القرآن الكريم من حيث هو كلام الله المعجز الثّري بألفاظه ومعانيه وهذا ما يغري للدراسة والبحث.
- الميل إلى الدراسات القرآنية .
- رغبة الوقوف على مدى تأثر الدّارسين بنظرية التصوير التي جاء بها سيد قطب.

وعليه أقوم بطرح الإشكالية مناط البحث :

كيف استطاعت الكلمة القرآنية تحويل المعاني الذهنية إلى صور حسية ؟ وهل كان لها الأثر البالغ في نقل المجرد إلى المحسوس ؟ و أين مكمن الإعجاز فيها ؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات جاء البحث مقسمًا إلى :

فصلين مسبوقين بمقدمة تتلوهما خاتمة.

جاء الفصل الأول بعنوان : (الكلمة القرآنية بين الإعجاز والتصوير) تضمن ثلاثة مباحث احتوى كل مبحث على ثلاثة مطالب.

المبحث الأول بعنوان : البحث عن معنى الكلمة القرآنية .

و المبحث الثاني بعنوان : الكلمة و الإعجاز القرآني.

أما المبحث الثالث بعنوان : الكلمة والسياق القرآني.

أما فيما يخص الفصل الثاني بعنوان :(التصوير وأدواته وخصائصه) .

المبحث الأول :الصورة والتصوير.

المبحث الثاني : أدوات التصوير.

المبحث الثالث كان بعنوان: خصائص التصوير.

أمّا المنهج المتّبع في هذا البحث هو : المنهج الوصفي لمناسبة الموضوع، فقد تتبعت الموضوع وجمعت له نقولا من علماء جهابذة، وكانت كالأتي :

1-دلائل الإعجاز لعبد القاهر جرجاني .
2-الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.
3-تفسير السّعدي.
4-التصوير الفني في القرآن لسيد قطب.
5-في ظلال القرآن لسيد قطب.

ولعل من بين الصعوبات التي واجهتني في بحثي :

- اتّساع الموضوع وضيق الوقت .

وفي الأخير أحمد الله الذي وفّقني لإتمام هذا البحث و أقدّم شكري الخالص إلى أستاذتي الفاضلة على صبرها الجميل ، والتي كانت لي نعم العون والسّند في هذا العمل المتواضع أدام الله عليها نعمة الستر والعافية.

الفصل الأول: الكلمة القرآنية بين الإعجاز والتصوير

1. **المبحث الأول : البحث عن معنى الكلمة القرآنية**

المطلب الأول: تعريف الكلمة

المطلب الثاني : نشأة البحث عن معنى الكلمة

المطلب الثالث : تدوين الكلمة

2. **المبحث الثاني : الكلمة والإعجاز القرآني**

المطلب الأول: نواة الإعجاز

المطلب الثاني : الكلمة نواة الإعجاز

المطلب الثالث : المعنى نواة الإعجاز

3. **المبحث الثالث : الكلمة والسياق القرآني**

المطلب الأول: الكلمة والسياق

المطلب الثاني : نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

المطلب الثالث : نظرية التصوير عند سيد قطب

1. المبحث الأول : البحث عن معنى الكلمة القرآنية

المطلب الأول: تعريف الكلمة

أ- لغة:

قد ورد في المعاجم اللغوية تعريفات للكلمة، تصبّ معظمها في معنى واحد، فيعرفها الكفوي(ت1094هـ) بقوله: «الكلمة لفظة دلّت على معنى مفرد بالوضع فهي كلمة، وبعبارة أخرى: كل منطوق أفاد شيئا بالوضع فهو كلمة و جمعها كلمات و كلم»[1]، فقد جاء معنى الكلمة، القصيدة بطولها، والخطبة بأسرها [2].

قال ابن منظور(ت630هـ): « و تميم تقول: هي كِلْمةٌ، بكسر الكاف، و حكى الفراء فيها ثلاث لغات: كَلِمَةٌ، و كِلْمَةٌ، و كَلْمَةٌ، مثل كَبِد، و كِبْد، و كَبْد، و وَرِق، و وِرْق، و وَرْق»[3].

«تطلق الكلمة في اللغة على الجمل المفيدة، كقوله تعالى:﴿ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ ﴾ [المؤمنون :99-100]، إشارة إلى قوله:﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ [المؤمنون :99-100]»[4].

---

[1]- الكفوي ،طبعه و وضع فهارسه عدنان درويش و محمد المصري، الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ-1998م، ص742.

[2]- ينظر، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ-1989م، ج1، باب الميم مادة(كلم)،ص2023 و الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم الترزي، الفيصل، الكويت ، ط1، 1421هـ-2000م، ج33ص372.

[3]-ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلى،دار المعارف ، القاهرة، مصر، دط ،باب الكاف مادة(كلم)،3922.

[4]- ابن هشام الأنصاري ، شرح قطر الندى و بل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ،ط11 ، 1383هـ-1963م، ص11.

ب _ إصطلاحا: يقول ابن مالك : [1]

«وَاحِدَهُ كَلِمَةٌ وَ القَوْلُ عَمْ وَ كِلْمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يُؤَمْ

(...) و قوله: و كلمة بها كلام قد يؤم:يعني أن الكلمة يقصد بها الكلام و يعنى بذلك في اللغة لا في الاصطلاح كقولهم في لفظ الشهادة كلمة الإخلاص، و هو من باب

تسمية الشيء باسم بعضه»[2].

«الكِلمَةُ قَوْلٌ مُفْرَدٌ ، و المراد بالقول: اللفظ الدال على معنى: كَرَجُلٍ، وفَـرَسٍ(...) و المراد بالمفرد: ما لا يدل جزؤه على جزء معناه، وذلك نحو "زيد"، فإن أجزاءهُ وهي الزاي و الياء و الدال إذا أفردت لا تدل على شيء مما يدل هو عليه، بخلاف قولك: "غلام زيد"، فإن كلاّ من جزئيه وهما: –الغلام، و زيد– دال على جزء معناه، فهذا يسمى مركبا، لا مفردا»[3]، ويقصد من هذا أنّ للمفرد ثلاثة أنـواع و هي: إذا لم يكن له جزءٌ أصلا كواو العطف أو همزة الاستفهام ،ما له جزء و لا يدل على جزءه معناه وهذا الجزء الذي ذكرناه مثل "زيد" ، و ما كان جزءه يدل على جزء معناه كغلام زيد فهذا الأخير يطلق عليه مركبا.

قال الشريف الجرجاني(ت.816هـ):« هي عند أهل الحقّ: ما يكنى به كل واحدة من الماهيات و الأعيان بالكلمة المعنوية، و الغيبية و الخارجية بالكلمة الوجودية و المجردات بالمفارقات»[4] قد قسّم الجرجاني الكلمة إلى ثلاثة أقسام :

الأولى:الماهيات والأعيان ⟵ الكلمة المعنوية

---

[1]-ابن مالك ،ألفية ابن مالك،دار الاثار ،القاهرة ،مصر،ط3، 1423هـ-2003م،ص3.

[2]–المكودي، شرح المكودي على ألفية ابن مالك،عني بضبط نصه وتخريج هوامشه إبراهيم قلاتي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ط، ص8.

[3]– ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى و بل الصدى، ص11.

[4]– الشريف الجرجاني،معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر،د.ط، باب الكاف، مادة(الكاف مع اللام)، ص155.

الثانية : الغيبيات والخارجيات ⟵ الكلمة الوجودية

الثالثة: المجردات ⟵ المفارقات.

المطلب الثاني: نشأة البحث عن معنى الكلمة

القرآن الكريم كلام الله المعجز بألفاظه و معانيه و تراكيبه أنزله سبحانه على نبيّه الكريم محمد صلّى الله عليه و سلم بلسان عربيّ مبينٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2].

و تفسير الآية الكريمة:«"إنا أنزلنه قرآنا عربيا": أي بلغة العرب، "لعلكم": يا أهل مكة ،"تعقلون" :تفقهون معانيه»[1]، فقد كانوا في العصر الجاهلي يتفاخرون بما يقولون من أشعار موزونة ليأتي القرآن بكلام حلو يدخل الآذان دون استئذان ويسكن في الوجدان لأي إنسان حتى لو أنكر أو لم يعترف به كبرهان.

لقد أفرد الله سبحانه أنبياءه بمعجزات تتناسب مع ما يبرع فيه أقوامه و تكون المعجزة دليلا و برهانا يصدّق به الرسل، و كانت معجزة سيدنا محمد –صلى الله عليه و سلم– القرآن ،الذي أبهر العرب أصحاب البيان و البلاغة، وكانت من بين هذه القبائل قبيلة قريش التي كانت لها مكانة مرموقة بين قبائل شبه الجزيرة العربية، فهم أصحاب بلاغة و فصاحة و أشعار، فينزل عليهم ما يأسر الألباب و يسلب العقول و يتركهم في ذهول ببلاغته أعجز ألسن كبار القوم من عرب و عجم[2]، كيف لا و القرآن إعجاز الخالق الذي يخاطب العقل و القلب معا.

---

[1]– جلال الدين المحلي وجلال الدين الأسيوطي، تفسير الإمامين الجليلين، تقديم عبد القادر الأدناؤوط، دار ابن كثير،د.ط، ص235.

[2]– ينظر، محمد شملول، إعجاز رسم القرآن و إعجاز التلاوة، تقديم علي جمعة، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1427هـ–2006م ، ص3.

« فالقرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، بلسان عربي مبين، فهو الحجة الواضحة و المرجع الصحيح و المصدر الأول»[1] بذلك ويمكن الجزم بأن الكلمة هي نواة الإعجاز في القرآن .

عُرّفت اللغة بأنها:« بنت الاجتماع البشري في بيئة تحيط بها و تتحكم فيها مجموعات متشابكة من العلاقات الإنسانية الخاصة و العامة»[2]، لذلك أنزل الله سبحانه و تعالى كتابه العزيز بلسان عربي في زمن كانوا يتفاخرون فيه بلغتهم الفريدة من نوعها مقارنة مع كل اللغات الموجودة آنذاك، ويبقى تعريف اللغة تلك التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[3].

كانت شبه الجزيرة العربية قبائل متعددة و لكل قبيلة لهجة تختلف عن لهجة القبيلة الأخرى، و لقريش بين القبائل مكانة جعلت منها نقطة تلاقي جميع القبائل، يرجع هذا لسببين هما: التجارة و الحج، فعمدت إلى ما يسمى بالتمازج اللغوي، كان سببه تلاقح اللهجات الذي اتّبعته قريش من أجل تنقيح لغتها بغية فهم كل من يقصدها من تجار و حجيج و بذلك رفعت بلغتها أعلى درجات الفصاحة[4]، كل هذه الأسباب جعلت منها محل استقطاب التجار و الحجيج إلى جانب أسواقها الأدبية التي كانت تشهد على مناظرات أدبية و شعرية و بذلك كانت محل التقاء الأدباء و الشعراء.

و لقد استجاب الله سبحانه و تعالى لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ

[1]- محمود فجال، السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، أضواء السلف، د.ط، ج1، ص3.

[2]- محمد أديب عبد الواحد جمران، معجم الفصيح من اللهجات العربية و ما وافق منها القراءات القرآنية، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1421هـ- 2000م، ص5.

[3]- ينظر، نفسه، ص6.

[4]- ينظر،نفسه، ص9-10.

يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 37] و قد صفّت قريش لغتها و نقتـها و هذبت ألفاظـها وحتى الألفاظ الدخيلة أخضعتها لأقيستها فسمت و جَمُلَت وجمعت أركان البيان حتى إذا جاء الإسلام ولغة قريش أفصح اللغات[1].

« فالعربية و القرآن صنوان لا يفترقان و إن زعم الزاعمون خلاف ذلك»[2]

انتقت قريش من الألفاظ ما كانت تتكلم به العرب و تجري على ألسنتهم من مفردات، إلا أنها كانت تفتقر إلى عنصر التدوين لذلك اندثرت العديد من الألـفاظ، ولأن الله سبحانه و تعالى هو الحافظ لكتابه العزيز، و لقد حفظ الله العربية بحفظ القرآن.

« فالعربية هي بنت القرآن و وليدته،(...) كما أنّ ما عرفته العربية من تطور في مجال المصطلحات العلمية قد تخلّق فيها بفضل القرآن الذي ذخرت آياته بكثير من الألفاظ المحددة»[3]، فبينما وصلت العربية إلى أوج تطورها نزل القرآن بلغتها فبعث فيها الحياة و كأن العربية بنـزول القرآن ولـدت من جديد فحفظها القرآن وأنزلها منزلة سامية لم تصل لها أي لغة من اللغات.

يقول أولمان ستيفن عن تركيب اللغة إنّ:«الأصوات و الكلمات ليست هي الوحدات الوحيدة للكلام. إننا لا نتكلم كلمات مفردة و لكننا نكوّن منها تراكيب: عبارات أو جملا ووحدات أكبر من ذلك. ووظائف هذه الوحدات هي بيان الارتباطات و العلاقات بين الأشياء فيرمز إليها بالكلمات المفردة »[4] فلغة القرآن ليست ألفاظ و معاني بل هي بين ألفاظ ومعانٍ وحذف و تركيب و بيان و بلاغة و دلالة...إلخ.

---

[1]- ينظر، محمد أديب عبد الواحد جمران، معجم الفصيح من اللهجات العربية و ما وافق منها القراءات القرآنية، ص10-11-12.

2- عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مكتبة الشباب، د.ط، ص8.

[3]- نفسه، ص3-8.

[4]- اولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة و تعليق كمال محمد بشر،مكتبة الشباب، د.ط، ص33.

بعد نزول القرآن و إعجاز العرب على أن يأتوا بمثله بدأ العرب بدراسة علوم القرآن، فكانت بداية انطلاقهم من الكلمة القرآنية ،التي اعتبرت نقطة انطلاق الدراسات القرآنية، و بدأ البحث في معاني الكلمات مباشرة بعد موت الرسول صلّى الله عليه و سلم ،كان عليه الصلاة و السلام المفسر الأول، و بعد موته بدأ التساؤل عن العديد من هذه الألفاظ من قبل كبار الصحابة، يروى بأن الكثير من الصحابة تساءل عن ألفاظ غريبة في القرآن يقول السيوطي(ت 911 هـ): «عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات، حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما أنا فطرتها: أنا ابتدأتها»[1] و بذلك علم ابن العباس معنى كلمة فاطر.

كذلك يقول: «قال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله:"ربنا عليك توكلنا و إليك أنبنا" "ربنا أفتح بيننا وبين قومنا بالحق" حتى سمعت قول ذي يزل "تعال أفاتحك" : تعال أخاصمك»[2]، و يقول في هذا ابن قتيبة:«ربنا افتح بيننا، أي أحكم بيننا ويقال للحاكم الفتّاح»[3]بمعنى أن الفتح أي الحكم.

و يقول الفراء(ت.207هـ) في كتابه «ربنا افتح بيننا ، يريد: اقض بيننا، و أهل عمان يسمون القاضي الفاتح و الفتّاح» [4]و الفراء يصل إلى نفس المعنى الذي وصل إليه ابن قتيبة –الفتح بمعنى الحكم–.

فسمّوا هذا النوع من الألفاظ ب"غريب القرآن" عنوا بهذا ما استصعب عليهم فهمهم.

أخرج أنس: أن عمر ابن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس:31] فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا لهو الكلف يا عمر»[5]و في تفسير هذه الآية: «ما تأكله البهائم من العشب و النبات»[1] أي إن الفاكهة

---

[1]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ،حققه وعلّق عليه فوّاز أحمد زمَرلي،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان،د.ط،1425هـ–2004م، ص287.

[2]– نفسه، ص287.

[3]– ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1398هـ–1978م، ص170

[4]– الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ط، ج1، ص385.

[5]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص287.

و الأب كليهما نعمة من عند الله سبحانه وتعالى، أنعمهما على خلقه سواء من الإنسان أو الحيوان.

قال تعالى في كتابه العزيز﴿:أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82] و في تفسير هذه الآية:« يقول تعالى آمرا عباده بتدبر القرآن و ناهيا لهم عن الاعتراض عنه، و من تفهم معانيه المحكمة و ألفاظه البليغة و مخبرا لهم، أنه لا اختلاف فيه و لا اضطراب، و لا تضاد و لا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد(...)، و لهذا قال:" أفلا يتدبرون القرآن أم على ﴿قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ "[سورة محمد:24]، ثم قال: "و لو كان من عند غير الله" أي لو كان مفتعلا مختلفا، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين و المنافقين في بواطنهم، "لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"(...) أي: و هذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله»[2] يذكر ابن كثير(ت.724هـ) في تفسيره قصة رواها: الإمام أحمد قال: حدثنا أنس عياض، حدثنا أبو حازم عن عمر بن شعيب، عن أبيه عن جده قال: كنت أنا و أخي جالسين مع مشيخة من صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم في أحد باب من أبوابه و إذا بهم ذكروا آية و اختلفوا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج عليهم الرسول صلى الله عليه و سلم مغضبا حتى احمر وجهه "يرميهم بالتراب"[3] و قال:« مهلا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم و ضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن الكريم لم ينزل يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، و ما جعلتم منه فردوه إلى عالمه»[4] لذلك أمر الله سبحانه و تعالى التدبر في القرآن الكريم و الابتعاد عن الغلو و الخلاف فيه.

---

[1]- الطبري، تفسير الطبري، هذبه وضبط نصه وعلّق عليه بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ- 1994م، ج7، ص465.

[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2، 1420هـ- 1999م، ج2ص364.

[3]-ينظر، نفسه، ج2،ص365.

[4]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج2، ص365.

كان النبي صلى الله عليه و سلم هو المفسر الأول حمل على عاتقه هذه المهمة ثم أورثها لصحابته"رضوان الله عليهم" فكان صلى الله عليه و سلم يفسر لأصحابه بعض معاني الألفاظ الغريبة، فروى عليه الصلاة و السلام أن أعرابيا سأله عن معنى"الظلم" في قوله تعالى﴿:وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾[الأنعام:82] ،ففسره بالشرك و إن كان عليه الصلاة و السلام هو المفسر الأول بالرغم من دقة هذا العلم و الخوض فيه ليس بالأمر الهين إلا أننا نجد بعض الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه سلم وابتعدوا و لم يخوضوا في هذا المجال–التفسير– خوفا من الوقوع في الخطأ، كأمثال أبي بكر الصديق و عمر ابن الخطاب[1] فليس من الهين الخوض في هذا الأمر فمن لا يكون له دراية بعلوم اللغة و الفصاحة و البلاغة لا يمكن الخوض في هذا المجال .

ما رواه السيوطي(ت.911ه) قال:«عن إبراهيم التيمي: أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى:﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس :31] فقال أي سماء تظلني و أي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم»[2]، رفض أبو بكر الخوض في مجال التفسير وكذلك عمر ابن الخطاب الخوض فيه خوفا من تفسير غير لائق و لا صحيح.

فهذه الألفاظ و غريبها جعلت من كبار الصحابة يفكّرون في إنشاء علم يسهل على الناس كل كلمات و معاني القرآن فكتب في هذا المجال –معاني القرآن– الكثير من الفحول: فمن أهل اللغة نجد أبو عبيدة معمر بن المثنى، و قطرب بن المستنير، و كذلك عبد لله ابن عباس من المفسرين الأوائل بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام، و صنف من الكوفيين الكسائي و كذلك الفراء[3]

بينما نجد عبد الله بن عباس–رضي الله عنه– غاص في هذا العلم و كانت له من الجرأة في الخوض في ثنايا تفسير الغريب من الألفاظ، و ذلك لما يتمتع به من موهبة

---

[1]– ينظر، محمود أحمد الصغبر، الأدوات النحوية في كتب التفاسير، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1422ه–2001م، ص23–24.

[2]– السيوطي،الاتقان في علوم القرآن، ص286.

[3]– ينظر، الفراء،معاني القرآن، ، ص12.

لغوية متقدمة شهد له الكثير بذلك إذ كان يفسر العديد من غريب القرآن حتى عد رائد علم التفسير آنذاك[1].

فمن بين الغريب التي فسرها ابن عباس، يقول السيوطي: و قال حدّثنا ابن عباس عن قوله تعالى:﴿ يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة:3] قال: يصدقون، ﴿ يَعۡمَهُونَ ﴾ [البقرة:15] :يتمادون،﴿مطهرة ﴾ [البقرة:45]:من القذر و الأذى ، ﴿سِنَةٌ﴾ [البقرة :255] :نعاس، ﴿ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾ [البقرة :264] :حجرٌ صلد ليس عليه شئ ،﴿ حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة :229] طاعة الله ،﴿ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا ﴾: يعني رموها بالزنا، ﴿ بَخِيرَةٍ﴾: هي الناقة إذا أنجبت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن ذكر ذبحوه فأكله الرجال دون النساء و إن كان أنثى جدعوا أذنيها[2]، فسّر ابن عباس العديد من غريب الألفاظ و ذلك لتمكّنه من اللغة.

كما يذكر في تفسير بعض غريب الألفاظ قال تعالى:﴿ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:61] و الصدود و الصد قد يكون انصرافا عن الشيء و امتناعا و قد يكون صرفا و منعا [3]

فسّر الأصفهاني العديد من غريب القرآن فنجد كذلك في كتابه ﴿قَبَس﴾: «القبس المتناول من الشعلة» [4]، قال تعالى:﴿ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [النمل :7]

فقد كان ابن عباس عالما في اللغة و ربّما هذا الأمر الذي دفعه إلى علم التفسير– تفسير الغريب من الألفاظ– فيذكر بأنه «عالم العربية الذي لا يدرك شأوه، عرف اللغـة،

[1]– ينظر،محمود أحمد الصبغر، الادوات النحوية في كتب التفاسير،24.

[2]– ينظر ، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ص288–289.

[3]–ينظر،الراغب الاصفهاني ،المفردات في غريب القرآن،مكتبة نزار مصطفى الباز،د.ط،ج2، ص362.

[4]– نفسه،ج2، ص505.

و حفظ غريبها»[1] فعُرف بحنكته و لغته الفصيحة و تعمق بخصائص اللغة و آدابها حتى عرف برائد التفسير فكان كلما سئل عن غريب القرآن رجع إلى الشعر الجاهلي.

فقد سأل عمر أصحابه عن معنى قوله تعالى" أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ[النحل:47] فأجابه شيخ من مشيخة هذيل: هذه لغتنا، التخوف التنقص وأنشد بيتا يقول فيه:

تخوف الرحل منها نامكاً فرداً كما تخوّف عود النبعةِ السّفِنُ[2]

وسئل ابن عباس فقال: «يا ابن العباس: أخبرنا عن قول الله عز وجل﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ [المعارج :37] قال: عزين الحلق الرفاق، أي جماعات متفرقين، فقيل له: هل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص و هو يقول:

فَجَاءُوا يَهْرَعُونَ إليه حتّى يَكونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا»[3]

فكان ابن عباس كلما فسّر لفظة رجع إلى الشعر ليبين معناها.

يذكر الزجاجي(ت.340ه) في كتابه بعض روايات عن تفسير غريب الألفاظ فيقول:«حدثنا الحسن بن إسماعيل المحامل قال: ... عن عكرمة ابن العباس قال: نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن لبن الجلاّلة، و عن مَهْر البَغيْ، و عن ثمن الكلب(...) الجلالة : الإبل التي تأكل العَذِرة، و أصل الحلّة البعر، قال الأصمعي :(...) البغي الفاجرة

[1]- غريب القرآن في شعر العرب ،تحقيق محمد عبد الرحيم ،أحمد نصر الله،مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت،لبنان،ط1،1413ه-1993م، ص19.

[2]- ينظر،نفسه ،ص19

[3]-نفسه ،ص28.

و البغاء الزنى ، بالمدّ و القصر"، قال عز و جل:"ولا تكرموا فتياتكم على البغاء".و البغي في غير هذا: الآمة، و البغية: الربيئة: و هي الطيِّعة للقوم»[1].

كما سئل كذلك عن قوله تعالى﴿:شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة :48] ، أما الشرعة: الدين، و المنهاج: الطريق فهل تعرف العرب ذلك قال: نعم: سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و هو يقول:

لقد نَطَقَ المَأْمُونُ بالصِّدْقِ و الهُدَى و بيّن لِلإسلاَمِ دِيناً و مَنْهَجاً[2]

وسئل ابن عباس عن قوله عز و جل﴿ أَثَثًا وَرِءْيًا ﴾ [مريم :47]، فقال: بأن الأثاث: المتاع، و الري: من الشراب.

قال: و هل تعرف العرب ذلك؟

قال:نعم و أنشد قول الشاعر:

كأن على الحَمولِ غداةً و لُّوا من الرّثّي الكريمِ من الأثاثِ[3]

و سئل كذلك عن قوله تعالى﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ [طه : 106]

قال: القاع: الأملس، و الصفصف: المستوي.

و أنشد قول الشاعر:

بِمَلْمُومَةِ شَهْبَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا شَمَارِيخَ مِنْ رَضوى إذًا عَادَ صَفْصَفًا[4]

---

[1]– الزجاجي، أمالي الزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، ، 1407ه،1987م ،ص104.

[2]– ينظر ، غريب القرآن في شعر العرب،تحقيق محمد عبد الرحيم و أحمد نصر الله، ص30.

[3]–ينظر ،نفسه ،ص41.

[4]– ينظر ،نفسه، ص42.

المطلب الثالث: تدوين الكلمة

اللغة وعاء الفكر فهي التي يعبر بها كل شخص عن أغراضه الكامنة داخله، بحيث نجد الفكر يتطور و يتغير عبر الزمن و مع كثرة العلم و المعرفة لا يستطيع الشخص أن يكون ملما بكل الأمور و مع كثرة المجالات تختلف اللغة من مجال إلى آخر فنجد الطبيب له ألفاظه و نجد المحامي له ألفاظا خاصة بمجاله، كما يختلف استخدام كل فرد للغة حسب طبيعة الظروف و البيئات المختلفة، و لكن في ظل هذا الاختلاف، المقصود واحد[1].

أما تدوين اللغة فقد لجأ إليها مستخدموها بغية الحفاظ على لغتهم من الاندثار، لتسجيل مناسباتهم المهمة كالوفاء، و الحروب، و ينقل ثقافاتهم إلى الأجيال القادمة و اشتد حرصهم على الكتابة حين أرادوا نقل نصوصهم الدينية إلى الأجيال من بعدهم، و مع اتساع حصيلة اللغة، و عدم قدرة المتكلمين على الإحاطة بكل مفرداتها ومعانيها و قد حظيت لغتنا العربية بعدد كبير من المعاجم اللغوية يمكن تصنيفها حسب منهجها إلى:«1-معجمات اعتمدت على الموضوعات و معاني الكلمات، دون الالتفات إلى حروفها، و هي ما نسميها بمعاجم المعاني مثل:" الإبل" و "النبات" للأصمعي (216ه) و الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سالم (224ه) و المخصص لابن سيده(458ه). (...)، 2-معجمات اعتمدت الترتيب الهجائي المعروف تبعا لحرف الكلمة الأول، مع الاحتفاظ بنظام الابنية و هي: الجمهرة لابن دريد(321ه) ، "والمجمل" و"مقييس اللغة" لابن فارس (395ه).»[2]

إن تاريخ العرب حافلٌ بالحروب و هذا راجع إلى أن العرب كانوا أمة متفرقة إلى قبائل بحيث كانت الصراعات تعج بينهم، يقال أنها أحيانا تصل مدة هذه الصراعات إلى مئة سنة و رغم كل الشدة التي كانت تتميز بها العرب إلا أنها تميل بعض الميل إلى تطبيق بعض المقدسات فكانوا يقصدون "مكة" للعبادة ، يتوافدون إليها للحج رجالا ونساء.

[1]- ينظر ، وفاء كامل فايدة، المجامع العربية و قضايا اللغة، عالم الكتب،د.ط،2004م، ص16.

[2]-نفسه، ص 17.

فلم تكن تعرف العرب الكتابة لذلك لم يصل إليها من ألفاظها الكثير إلا ما جاء به القرآن الكريم و بعض الاجتهادات آنذاك[1] لذلك لم تصل لنا العديد من الألفاظ العربية قبل نزول القرآن في العصر الجاهلي و يعود ذلك لعدم تدوينها بحيث كان ما يتناقل به العرب هي الرواية و المشافهة.

عاش العرب في شبه الجزيرة بين المراعي ينتقلون من مرعى إلى مرعى بغية الحفاظ على كيانهم، كانت كل قبيلة تستند إلى مقوماتها و كانت تبسط سلطانها بحسب عدد شعرائها و وفتية فرسانها و كلما زاد عدد الشعراء ذاع صيتها و رفعت مكانتها بين جيرانها و بهذه الطريقة عاش العرب حياتهم البدوية[2] كل هذه الأسباب أدت بالعرب إلى عدم تدوين العربية آنذاك لذلك لم يصل إلينا إلا القليل.

فمن المؤسف أن «عناصر التاريخ لم تحفظ مدونة»[3] فقد رويت لنا عن لهجة تميم عدة أخبار فقد كانت تنطق بعض الفتحات إمالة إلى الكسرة و هو المعروف حديثا ب(الإمالة)، فينسبون إلى لهجات اليمن قلب السين تاء فيقولون (النات) بدل الناس[4].

فبعد نزول القرآن الكريم و دخول غير العرب (العجم) إلى الإسلام و مع انتشار اللحن في اللغة، بدأ العرب في التفكير بطريقة لحماية لغتهم من الضياع و الفساد، و كان ذلك بوضع أسس لجمع اللغة، أما الزمان فاشترطوا أن يكون 150 قبل الإسلام و 150 سنة بعد الإسلام و المكان اشترطوا فيه الأخذ من قبائل العرب الخلص الذين لم يدخل عليهم العجم و هم: تميم، قيس، أسد، هذيل، بعض كنانة وبعض الطي [5]

يذكر الدكتور أشرف حافظ يوسف حول قضية الاستشهاد في الدرس اللغوي وحدودها : أنّ اهتمام البصرة والكوفة بالرحلة إلى البادية وخاصة نحاة البصرة ،فقد أولوها اهتمام

---

[1]- ينظر، عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، ص31،32.

[2]- ينظر، نفسه، ص36.

[3]- نفسه،ص49.

[4]-ينظر، نفسه، ص49،50.

[5]-ينظر،محمد خان،أصول النحو العربي،مطبعة جامعة محمد خيضر،بسكرة ،الجزائر،د.ط،2012م،ص58.

بالغا فيرى أنّ أول من بدأ بالرحلة إلى البادية هوعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وكذلك أبوا عمرو بن العلاء، فقد كان هذا الأخير يجول البادية و يستنطق الأعراب فيقول: لقيت أعرابيا فسألته من أين هو فقال: أسديٌّ، قلت: من أيهم ؟ قال: نهدي، قلت من أي بلاد أنت قال : من عمان.

فيذكر أن أبوا عمرو ابن العلاء كان شغوفا بالرحلة إلى البادية يذهب و يعود بزاد من اللغة، فيقول الأصمعي: كان أبو عمرو إذا لم يحج أرسل أخاه معاذ ابن العلاء يسأل الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر و يأتيه بجوابها.

و أما الأصمعي فقد كان يبحث عن الأعراب و يدون في الألواح ثم يرجع بما دون إلى أستاذه أبي عمرو بن العلاء ففي بلاد بني عامر انجذب إلى صوت ينشد:

أَحَقًا عِبَادَ الله أنْ لَسْتُ نَاظِرًا إِلى قرقري يَوْمًا، وَ أَعْلامها الغُبْر
كَأنَّ فؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبًا جَنَاحَ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَكْرِ

فرأى الأعرابي الأصمعي و هو حائرٌ فقال له: أ أعجبك ما سمعت فقال الأصمعي أي والله، فسأله الأعرابي هل أنت من أهل الحضارات فأجابه: نعم

كذلك الخليل ابن أحمد الفراهيدي كان يخرج إلى البادية ليسمع منها فسأله مرة الكسائي: من أين أخذت علمك هذا؟ فأجابه بأنه من بوادي الحجاز و نجد وتهامة، و كذلك الأخفش الأوسط كان كثيرا ما نجد في كتبه، قالت العرب: كذا كذا[1]، فيذكر: سمعنا من العرب من يقول«:أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ [النجم:19] هي اللاتْ قالت ذاك بالأصل :" هي اللاتِ قالت ذاك" بكسر "التاء" في "اللاتِ" و في "قالتِ»[2] و هكذا كان العرب يرحلون إلى البادية بحثا عن اللغة العربية و تدوينها مخافة تلاشيها، و خلص إلى

[1]–ينظر،أشرف أحمد حافظ،، الاستشهاد بالحديث الشريف في المعاجم العربية،دار المعارف الجامعية ،الاسكندرية ،مصر،د.ط، ص44،45،46،47.

[2]– الأخفش الأوسط، معاني القرآن،تحقيق هدى محمود قراعة ،مكتبة الخانجي، ، القاهرة، مصر،ط1، 1411هـ، 1990م، ج1، ص11.

أن التدوين لم يكن معروف إلا بعد نزول القرآن و دخول العجم في الإسلام، ومخافة انقراض ألفاظ العرب عمدوا إلى تدوينها.

لنتكلم عن بعض الصياغات التي تفرّدت العرب باستعمالها يريدون بها معنى غير معناها الظاهر وهي من باب المجاز:

و العرب تقول:« قد خسر بيعك و ربحت تجارتك، يريدون بذلك الاختصار وسعة الكلام قال الشاعر:

و كيف تواصل من أَصبحت خلالته كأَبي مرحب »[1]،معنى الكلام أنّ كل من ترك شيئا وتمسّك بغيره .فالعرب تقول للذي تمسّك به قد إشتراه وليس ثمّة شراء ولا بيع ،ولكن رغبته فيه بتمسّكه به كرغبة المشتري بماله[2] .

«و معنى أحسّ في اللغة: عَلِم ووَجَدَ، و يقال هل أَحَسْت في معنى هل أَحْسَسْتَ و يقال حَسَيْتُ بالشيء إذا علمتُه و عرفتُه، و أنشد الأصمعي:

سِوى أن العتاقُ من المُطَايا حَسْيَنَ به فهنّ إليه شُوس

و يقال حَسَّهُم القائد، أي قَتَلَهُمْ»[3].

2.المبحث الثاني: الكلمة و الإعجاز القرآني.

[1]- الزجاج ،معاني القرآن واعرابه،شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي،عالم الكتب ، بيروت ، لبنان، ط1، 1408هـ-1988م، ج1، ص92،93

[2]-ينظر ،نفسه ،ص 93.

[3]- ينظر،نفسه ، ص416.

المطلب الأول: نواة الإعجاز

1- الإعجاز:

المعجزة كما عرّفها السيوطي(ت911ه) بقوله: «هو أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، سالم من المعارضة»[1]. فخرق العادة يعني جريانه على غير ما ألف الناس والاقتران بالتحدي يقصرها على الرسل المبلغين عنه، فكانت من بين معجزاته سبحانه القرآن الكريم فقد أنزل معجزا للعرب ،كون العرب آنذاك يشهد لهم بالفصاحة و النزاهة و تمكّنهم من اللغة، فنزل القرآن تحديا لهم فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله حتى اتهموه بالسحر، يقول السيوطي في الإتقان: «لا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجزة لم يقدر أحد على معارضة بعد أن تحداهم، قال تعالى﴿:وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة:6] ، فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ،ولا يكون حجة إلاّ وهو معجزة»[2].

إن التّحدي القرآني لم يكن محصورا في نظمه و لفظه و بيانه إنما كان التحدي عاما إذ كان العرب فرسان البلاغة و الفصاحة وفن القول؛ فقد تحداهم بأحكامه أخبار والغيب فيه و تحدّاهم بقصص الأمم السابقة "فقد كانت عندهم الكتب و الصحف الأولى المنزلة، و يؤكد هذا الرأي قوله تعالى:" لا يأتون بمثله"، أو القرآن فهو لا يعني فقط بمثله في اللفظ و النظم و البيان إذ لا دليل يخص [3]، فالقرآن الكريم تحدى الكبار قبل الصغار كبارا في البلاغة و اللغة و التشريع فقد بارزهم مبارزة كانت في صالحه لأنه الكلام المنزل من الجبار سبحانه و تعالى فعجزوا أن يأتوا بمثله و لو آية واحدة.

---

[1]-السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن،ص710.

[2]-نفسه ،ص 710.

[3]-ينظر، عمار الساسي ، المدخل إلى النحو و البلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، ط1،2008م، ص78.

قال تعالى﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة :23]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :«وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ " -أي شك- "مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا " -يعني محمدا صلى الله عليه و سلم- "فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ " يعني من مثل القرآن، (...) أنه تحداهم كلهم متفرقين و مجتمعين سواء في ذلك أميهم و كتابيهم و ذلك أكمل التحدي وأشمل من أن يتحدى آحادهم ممن لا يكتب و لا يعاني شيئا من العموم»[1]،فقد تحدى القرآن كل الناس، سواء الجاهل أو الملم بكل العلوم فالقرآن، لم يأتي ليتحدى الضعيف في العلم، و إنما تحدى كل الناس لهذا عجزوا أن يأتوا بمثله ،قال تعالى﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]

يقول ابن كثير(ت774هـ):« نبّه الله تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنّه لو اجتمعت الإنس والجنّ كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطاع ،وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عدول له ؟ ! »[2]، لهذا عجز الإتيان بمثله و لو بآية واحدة، لأنه من أنزله حكيم عليم ، فقدرته تفوق قدرة البشر بكثير و حتى لا نستطيع أن نمثل قدرته إلى قدرة البشر قال فيه الوليد بن المغيرة «في لحظة صدق مع نفسه عندما طلب منه قومه أن يقول في القرآن قولا جمع كلمتهم عليه، و لا يظهرون الاختلاف أمام وفود العرب ،فبعد أن اعترف أن ليس من كلام الشعراء لأنه لا يمنعهم على إقرائه، و ليس من كلام الكهنة لأنه لا يشبه زمرتهم و

[1]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،اعتنى به واخرج أحاديثه أيمن نصر و شريف عبد الله وآخرون،دار ابن الهيثم ،القاهرة ،مصر ،ط1، 1426هـ-2005م، ج1، ص82.

[2]-نفسه، ج3، ص1741

ليس بخنق الجنون و هممه، قال: والله إن له لحلاوة إن وعليه لطلاوة و إنه لمغدق أسفله مثمر أعلاه و أنه يعلوا و لا يعلى عليه ما يقول هذا بشر»[1]

فقد اعترف الوليد بن المغيرة مع أنّه كان مشركا في لحظة طُلب منه أن يقول شيئا في هذا القرآن في لحظة صدق مع نفسه، فقال أن هذا القرآن ليس كلام البشر، ولا من عند الكهنة و الشعراء فهو من عند جبار قدير.

فقد أكد الله سبحانه و تعالى أن القرآن من عنده سبحانه و ليس من أحد من البشر أنزله على محمد صلى الله عليه و سلم و هو بشر مثلكم، و لو استطعتم أن تأتوا بمثله و استعنتم بالإنس و الجن لن تأتوا بمثله أبدا.

فالقرآن معجزة في ذاته أي في تركيبه و نظمه و ألفاظه و بيانه كما أنه معجزة للناس في أحكامه و تشريعه و استحضاره لقصص الأمم السابقة.

لم تُستَعمل كلمتي الإعجاز والمعجزة في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ،وإنما استعمل البرهان و السلطان و الحجة و الفكرة التي كانت مطروحة هي عجز البشر على الإتيان بمثله، فكانت العرب آنذاك لم تخالط الأعاجم ،فكانت الطبيعة الثقافية بسيطة و على الفطرة لذلك لم يتطرق البحث في وجه الإعجاز و بيانه[2] شيئا فشيئا بدأ البحث في الإعجاز القرآني بصورة علمية منظمة.

لقد كان في عصر النبوة و الخلفاء الراشدين الذوق العربي السليم يساعد أصحابه على إدراك الأساليب القرآنية المخاطبة ،و كانت قدسية القرآن الكريم مسيطرة على النفوس إلى أن بدأت السليقة تفقد صفاءها شيئا فشيئا، و بدأت الفتوحات الإسلامية و الاختلاط مع العجم ،في ظل هذا الاختلاط بدأ الناس في التفكير بعيدا عن التذوق الجمالي و الإدراك بالسليقة الصافية، و في غمار هذه الإختلاطات برز الحديث عن وجه الإعجاز ليس بشيء ذاتي فيه و إنما بصرف الله تفكير الناس عن معارضته، فمن أبرز الذين تكلموا عن الإعجاز هو الجاحظ و نظم في ذلك كتابه:"الحيوان" و كذلك:"نظم القرآن" [3]رغم أنه هذا الأخير لم يصل إلينا إنما وصلت إشارات منه وكذلك الذين ألفوا على غرار الجاحظ نجد أبو بكر عبد الله بن ابن داود السيجستاني(ت.316هـ) حيث ألف

[1]- مصطفى مسلم،مباحث في إعجاز القرآن،دار مسلم،الرياض،السعودية ،ط2، 1416هـ-1996م،ص45.

[2]- ينظر، عمار الساسي ، المدخل إلى النحو و البلاغة في إعجاز القرآن الكريم ، ص107.

[3]- ينظر،مصطفى مسلم ،مباحث في إعجاز القرآن، ص45،46.

كتابا و سماه "نظم القرآن" و بذلك بدأت البحوثات حول إعجاز القرآن الكريم و بدأت الصراعات في بؤرة القرآن و بدأ الدارسون يبحثون في أين يكمن إعجاز القرآن.

فاحتاروا أين يكمن الإعجاز أول ما نزل القرآن، وأول ما سمعوه فالعربي أول ما سمع كلمات القرآن –صياغتها ونظمها – أدهشته وحيّرته وبدأ تساؤله أين مكمن الإعجاز؟ و من هنا ظهر الصراع بين أنصار اللفظ و أنصار المعنى ،فنجد أنصار اللفظ يقولون أن الإعجاز يكمن في اللفظ في المقابل نجد أنصار المعنى يؤكدون أنّ الإعجاز يكمن في المعنى، و بهذا ظهر أوائل الباحثين الذين تكلموا في اللفظ و هو: (ابن سنان الخفاجي).

المطلب الثاني: الكلمة محل الإعجاز

اختلف العلماء حول الإعجاز القرآني هل هو في اللفظ أو المعنى و أرسوا لهذا بحوثات عديدة، و ألفوا لها كتابات قاموا فيها بدراسات عديدة حول الألفاظ و المعاني، فهناك من انتصر إلى اللفظ وهناك من انتصر إلى المعنى، فمن بين الذين انتصر إلى اللفظ نجد :

1/ابن سنان الخفاجي(ت.466):

في كتابه سر الفصاحة تكلم على اللفظ و أرسى على العديد من المحطات من بينها كيفيه نظم الكلام و ذكر فيه أنّ أساس الكلام والتّوصل إلى المعنى هو "اللفظ"، لذلك على الناظم أن يكون فطنا في اختيار ألفاظه في التعبير على معناه ،و ذلك من خلال فهم المعنى على أكمل وجه و اختيار له ألفاظ تناسبه فالمعنى الشريف نختار له اللفظ الشريف و العكس صحيح، و نبه على الابتعاد عن التكلف، فالتكلف يأخذ بصاحبه إلى مستنقع الركاكة والابتعاد عن الفصاحة فيقول: بذلك يعيبك من هو أقل منك عيبا، لذلك لا تتعجل في إنزال اللفظ منزلة ليس بمنزلة فتغصبه على أخذ مكان ليس بمكانه[1].

ثم تكلم في جزئية فصاحة الألفاظ و مطابقتها للمعاني، و قال أن للفصاحة أوجه ثلاث، الأولى:تجنب الغريب الوحشيّ، و الثاني في اختيار الألفاظ الوحشية عن طريق

[1]– ينظر، ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، المحقق إبراهيم شم الدين، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، 1431هـ ص16،17.

الابتعاد عن الالفاظ الوحشية المتوعرة ، اللفظ السهل المبتذل الذي ينزل منزلة العامي ، و الثالث المناسبة، و المطابقة أن يكون اللفظ قالب المعنى أي مطابقة الألفاظ للمعاني، أما المناسبة و هي أن بعض المعاني لا تليق إلا بألفاظ معينة حتى إذا ذكر المعنى بغير تلك الألفاظ لا يفهمها السامع[1].

ثم تكلم ابن سنان عن حقيقة الفصاحة: لا تتحقق إلا بشروط:

الأول: أن يكون اللفظ واضحا جليا

الثاني: أن يكون واضحا للجميع: أي لا يكون واضحا لهذا و غير واضح لهذا

الثالث: أن يكون اللفظ مهذب لأن اللفظ الواضح الجلي الذي يفهمه الناس لا يكفي فيشترط أن يكون مهذب ليتحقق عنصر الفصاحة ،وهو اختيار اللفظ المهذب الحسن، فردّ ابن سنان أن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات ،و الصوت الشجي الحسن يتلذذه السامع و يطربه أما الصوت القبيح فينفر منه، و مثّل لذلك بصوت البلبل لما له من حسن في أذن السامع[2]، و صوت الغراب لما له نفور للسامع و هذا يؤدي بنا إلى أن ابن سنان من أنصار اللفظ ،و الإعجاز عنده يكمن في اللفظ فالقرآن الكريم فصيح، وتحققت فيه شروط الفصاحة التي تكلم عليها ابن سنان في أن القرآن جاء بالألفاظ بعيدا على الوحشي و الغريب.

و حقق القرآن الشرط الثاني و هي ألفاظ يفهمها العرب ، فكل ألفاظها من بيئة العرب و ليست بعيدة عن بيئتهم ،و الثالث اختيار اللفظ الحسن بعيدا عن القبح ، الرابع ومطابقة الألفاظ لمعانيها و هنا يكمن الإعجاز.

يعتبر ابن سنان الخفاجي (ت.466) أنّ عنصر اختيار الألفاظ شرطا من شروط الفصاحة، و أدخلة في التعريف إلى جانب الصورة أي التأليف[3] قائلا: «ومع هذا البيان كله فالفصاحة عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار»[4] فابن سنان الخفاجي (ت.466)اعتبر شرط اختيار اللفظة يعتبر من الأرضية المنهاجية ،ففي تحديد موضوع

---

[1]- ينظر، ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ،ص19،20.

[2]- ينظر ،نفسه، ص20،21.

[3]- ينظر ، محمد الوقيدي و محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها،إفريقيا الشرق،بيروت ،لبنان، د.ط،1999م،ص415.

[4]- ابن سنان الخفاجي ،سر الفصاحة، ص114

الفصاحة و مجالها ووظيفتها كشف ابن سنان عن المتخفي وراء أية عملية تنظيرية تطمح إلى السمو إلى مستوى التفسير[1].

فيعرف ابن سنان الخفاجي (ت.466)الفصاحة إن الفصاحة على ما قدمنا، نعت للألفاظ إذا أوجدت على شروط عدة... و تلك الشروط تنقسم إلى قسمين:

1-**القسم الأول:** ما يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينظم إليها شيء من الألفاظ.

2- **القسم الثاني:** يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض[2]، و بهذا نستنتج أن ابن سنان الخفاجي يرى الفصاحة بشروط فهو ينتصر إلى اللفظ، و لكن بشروط تتوفر فيه لكي يتحقق عنصر الفصاحة فأدخل ابن سنان عنصر النظم و يرى بأن أكثر البلاغة تكون في الألفاظ المنظومة[3] أي إن البلاغة عنده نظم الألفاظ مع بعضها البعض، ومع شروط اختيار اللفظ يحدد عنصر البلاغة.

و لكن عقّب على هذا الأمر "عبد القاهر الجرجاني" فأشار«أن لا نظم للألفاظ عنده حتى تنتظم المعاني في النفس»[4]، فيدحض عبد القاهر الجرجاني رأي ابن سنان في أن البلاغة تكمن في ربط الألفاظ مع بعضها البعض طبعا مع تحديد شروط للفظة، وإنّما تكمن كذلك في انتظام المعاني في النفس.

وضع ابن سنان للفظة المفردة و المقترنة ببعضها البعض شروط، حيث أورد في كتابه سر الفصاحة شروط «المفردات منفصلة وشروط المقترنة ببعضها.

1- تباعد المخارج	(مشترك بين المفرد و المركب)
2- الحسن في السمع	(خاص بالمفرد)
3- التوعر و الوحشية	(خاص بالمفرد)
4- العامية	(خاص بالمفرد)
5- الجري على العرف اللغوي	(مشترك)

[1]- ينظر،محمد الوقيدي و محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ص415.

[2]-ينظر، ابن سنان الخفاجي ،سر الفصاحة، ص85.

[3]- ينظر ،محمد الوقيدي و محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتدادها ص419.

[4]- نفسه،ص 417.

6- ما يكره ذكره	(مشترك)
7- الاعتدال	(خاص بالمفرد)
8- التصغير	(خاص بالمفرد) [1]

و بهذا يقول الدكتور محمد الوقيدي:«جعل الفصاحة أحد شطري البلاغة، و من ثم فإن حديثه عن الفصاحة لا يخرج عن البلاغة إلا في اعتبار انصرافه إلى اللفظ»[2].

و بهذا يعتبر ابن سنان من أنصار اللفظ و ،بل اعتبره شرط أساسي في الفصاحة.

2/ الجاحظ: (ت.255هـ):

فمن أنصار اللفظ أيضا نجد الجاحظ(ت.255هـ) المعتزلي فقد صرح العديد من الباحثين سواء القدماء أو المتحدثين إلى أن الجاحظ من أنصار اللفظ و دليلهم على هذا أنه «يقدم العناية بالشكل و الصورة، و يطرحون المعاني و لا ينظرون إليها، بل يسوّون فيها بين الخاصة و العامة، و أنه يتزعم بهذا طائفة اللفظين»[3]رغم أن الجاحظ تكلم على الألفاظ و المعاني و ألّف في النظم إلا أن غايته و اهتمامه كان في اللفظ، فأدرج في كتابه البيان و التبيين العديد من الفصول التي تتكلم عن اللفظ و حسن اختياره و شروط انتقاء اللفظ...الخ، لهذا اتّهم من طرف الدارسين بأنه من أنصار اللفظ.

فنجد من القدماء عبد القاهر الجرجاني ذكر في كتابه دلائل الإعجاز بأنه يفرط في أمر الألفاظ، و كذلك طائفة من المعاصرين يتهمونه بأنه من أنصار اللفظ[4] و في الحقيقة أن الجاحظ أدرج العديد من الفصول والمباحث حول قضية اللفظ « فقد كانت عناية الجاحظ(ت.255هـ) بهذه القضية عناية فائقة فاللفظ الفرد عنده يعد بمثابة

[1]- ينظر، محمد الوقيدي و محمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتدادها ، ص431،420.

[2]- نفسه ،ص422

[3]- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين ، مكتبة الأنجو المصرية، القاهرة، مصر ،2005م ، ص191.

[4]- ينظر ، نفسه ، ص191.

اللبنة التي يقام منها البناء وعلى قدر ما فيها من حسن يكون البناء حسنا رائقا»[1]، يقصد بهذا أنّ انتقاء الألفاظ عند نظم الكلام هو اللبنة الأساسية، فكلّما كان انتقاء اللفظ الحسن كان النظم الحسن .

فيقول الجاحظ (ت.255): « و قد قال عامر بن عبد قيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان»[2]، فيقول:«أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، و معناه في ظاهر لفظه، و كان الله عز و جل قد ألبسه من الجلالة و غشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه و تقوي قائله»[3]، أي أن الجاحظ اشترط في اللفظ العديد من الشروط ،فلا يكون اختيار اللفظ في الكلام إلا بشروط وضعها تحت منهج علمي دقيق، فإن خرج على هذا المنهج أطلق عنه بالعيب في الاختبار.

تحدّث الجاحظ في كتابه عن اللفظ المفرد و ما يطرح عليه من عيوب تخل بفصاحته فعلى الأديب توخي هذه العيوب[4]

أولها:غرابة الكلمة: و أدرج لها بابًا في كتابه البيان و التبيين تحت عنوان: اللفظ "الغريب ليس فصيحا" فيذكر الجاحظ في هذا الباب قصة الغلام مع أبي الأسود الدؤلي فيقول:« قال أبو الحسن: كان غلام يقعر في كلامه، فأتى أبا الأسود الدؤلي يتلمس بعض ما عنده، فقال له أبو الأسود: ما فعل أبوك؟ قال: أخذته الحمى فطبخته طبخا، و فنخته فنخا، وفضخته فضخا" –فنخته: أضعفته،و الفنيخ: الرخو الضعيف.و فضخته:دقته فتركته فرخا»[5].

فقال أبو الأسود:« فما فعلت امرأته التي كانت تُهارّه و تُشارّه، و تُجارّه، و تزاره"؟ قال طلقها فتزوجت غيره فرضيت و حظيت و بظيت. قال أبو الأسود: قد عرفنا رضيت وحظيت، فما بظيت. قال حرف من الغريب لم يبلغك. قال أبو الأسود:يا بني كل كلمة

---

[1]– فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين ، ص148.

[2]–ينظر، الجاحظ،البيان والتبيين ،قدّم له وشرحه علق عليه بوم لحم ،دار مكتبة الهلال ،بيروت ،لبنان ،د.ط،2002م ،ج1، ص88

[3]–نفسه ،ج1، 87

[4]– ينظر،نفسه، ج1، ص87.

[5]- الجاحظ،البيان والتبيين ، ج1،ص300-301.

لا يعرفها عمك فاسترها كما تستر النسور جعرها»[1] أدرج الجاحظ هذه القصة التي وقعت مع أبي الأسود الدؤلي لكي يبين أن الغرابة هي «الكلمة وحشية الغريبة، لا يعرف معناها إلا بالشرح والبحث و التفسير»[2]، و هذا من عيوب الكلام و الفصاحة تشرط اللفظ المفهوم المعروف للسامع فالغريب من بين عيوب الفصاحة التي أدرجها الجاحظ فبعد الجاحظ عن اللفظ الغريب ذلك المتوعر فيصوره بصورة و كأنه يَركبُ طريقا صعبا لا يصل إليه السالك إلا بعد تعب وجهد[3] فيقصد بهذا أن الكلمة الغريبة لا تصل إلى السامع إلا بعد جهد جهيد من فهمها فيصعب عليه فهمها من أول وهلة إلا بعد البحث عنها و هذا من عيوب اللفظة.

فمن بين عيوب التي تعتري الكلمة المفردة « تنافر الحروف، فيقول:و من ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر و إن كانت مجموعة بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر:

و قبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٍ و ليس قربَ قبرِ حربٍ قبُر»[4]

فالكلمة التي حروفها متنافرة ، تصعب على لسان الناطق كما أنه ينفر منها السامع[5]، فقد أكد الجاحظ بأن يكون اللفظ خفيفا على اللّسان يستقبله السامع بصدر رحب، تستقطبه الأذن بحفاوة دون إزعاج و نفور.

و من بين العيوب كذلك: مخالفة القياس اللغوي من العيوب التي أدرجها الجاحظ في اللفظة المفردة الكلمة المخالفة للاستعمال في عرف العرب؛ أي الكلمة الغير مستعملة[6] فمن هنا يعد هذا عيبا ، و ربما في هذه النقطة نعود إلى ما ذكرناه في قصة أبو الأسود الدؤلي في كتاب البيان و التبيين و بهذا أطلق على الجاحظ (ت.255) بأنه من أنصار اللفظ، و كذلك أدرج العديد من الفصول حول قضية اللفظ و ما يلحقه، و ركّز عليه في

---

[1]- الجاحظ،البيان والتبيين ، ج1، ص، 301.

[2]- فوزي السيد عبد ربه، المقياس البلاغية عند الجاحظ في كتابه البيان و التبيين، ص149،148.

[3]- نفسه، ص149.

[4]- الجاحظ، البيان و التبيين ، ج1.ص74.

[5]- ينظر، فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغة عند الجاحظ، ص156.

[6]- ينظر،، نفسه، ص157.

حين أهمل المعنى و ربما يكون قد ذكر المعاني في مواضع و لكن كان اهتمامه الأكبر حول اللفظ.

المطلب الثالث : المعنى محلّ الإعجاز:

أقرّ أصحاب اللفظ في إن البلاغة و البيان أساسهما اللفظ و رأينا هذا مع كل من ابن سنان الخفاجي (ت.466) و الجاحظ و كيف أعطوا اللفظ مكانة كبيرة، و أهملوا باقي العناصر الأساسية في بناء الجملة.

يقول عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) « الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف » [1] أي أن الألفاظ لا تحقق فائدة و لا توصلنا إلى المعنى إلا إن اقترنت بغيرها من الألفاظ الأخرى في التركيب. يقول الشيخ في مطلع قصيدة امرئ القيس:« قفا نبكي من ذكرى حبيب و منزل» [2]

لو أخذنا ألفاظ هذا البيت و قمنا بتقديمها و تأخيرها مثلا « ذكرى قفا منزل من حبيب» هل ستفيد فائدة هل لها من البيان و الجمال، و هل ستؤثر في نفس القارئ مثل الأول؟ ، لقد أخرجت هذه الألفاظ من كمال البيان في نسجها الأول إلى مجال الهذيان فلقد أصبح الكلام غير مفهوم، أي و كأنه رجل أمامك يهذي [3]

إذا تأملنا في الأمر قليلا لوجدنا أن المعنى هو أساس البيان ،يعني أنّ المعنى هو الأمر المقصود في انتضام الألفاظ ، و اتساقها بشكل سليم « فإن اختل المعنى كله و فسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة منه»[4] ، و بذلك لا يمكننا أن نجزم أن الكلمة هي أساس البلاغة

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى و ميسر عقاد، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا،ط1، 1428 هـ-2007م،ص 10.

[2] – صدر بيت لامرئ القيس هو مطلع معلقته الشهيرة، و هو في ديوانه (110).

[3] –ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 10.

[4] –ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصله وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1401هـ-1981م، ج1، ص 124.

والبيان، و هي سر الإعجاز فالإعجاز لم يكن من الألفاظ متناثرة، كل واحدة على حدة و إنما كان للمعنى تأثير كبير فإن اختل المعنى اختل اللفظ و فسد و لم يفد فائدة.

و نجد من بين الذين من يؤثرون في المعنى كابن الرومي، و ابن الطيب « و منهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته، و لا يبالي حيث وقع من هجنته اللفظ و قبحه و خشونته»[1] ، فيركزون على صحته اللفظ للإيصال إلى المعنى السليم.

« و حقيقة حسن البيان إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له، إيصاله وإلى فهم المخاطب بأقرب الطرق و أسهلها، فإنه عين البلاغة»[2]، و بذلك فالمعنى هو روح البيان، فإن لم يكن المعنى موضحا في أحسن الصور لا يصل إلى المخاطب وهذا هو أساس البلاغة.

فكثير من الألفاظ كانت مقبرة المعاني، فتأخذ المعنى إلى غير ما أريد به، بذلك و يصل إلى المعنى إلى المخاطب غير صحيح و هذا مردُّه إلى بعض الألفاظ التي عبّرت عن معنى معين، لذلك اعتبرت الألفاظ في الكثير من الأحيان مقبرة المعاني.

لذلك اعتبر المعنى هو سر الإعجاز لأنّه الغاية الأساسية للقرآن الكريم هو إيصال المعنى الصحيح إلى المخاطب و بذلك اعتبر أصحاب المعاني أن المعنى هو أساس الإعجاز.

المبحث الثالث: تصوير الكلمة للمعنى.

المطلب الأول: الكلمة و السياق.

[1] – نفسه ، ص 126.

[2] – الرمّاني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها و علق عليها محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1976، ص 194.

رفض العديد من العلماء و الباحثين اللفظة المفردة مجردة على قرينتها، فاللّفظ عندهم لا يستوي معناه إلاّ من خلال السياق ،فمن خلال هذا الأخير تأخذ اللفظة معناها و مقصدها «فإن نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته و مفتوح دوما على التجديد و التغيير في بنياته المعجمية و التركيبية»[1] فاللغة بما أنها نظام من العلاقات المتشابكة تتغير معناها بتغير بنياتها المعجمية و تركيبها.

و هذا ما نادت به النظرية السياقية التي نفت أنّ الكلمة تتحّدد دلالتها في صيغتها المعجمية [2] فيقول مارتني:« خارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى»[3].

يقول أولمان ستيفن:« إن تصادف و اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقا تاما مثل هذه الكلمات، لا يكون لها معنى البتة دون السياق الذي تقع فيه»[4]فالسّيــاق هو الذي نستطيع من خلاله فهم ما مقصد أي كلمة ،لأنه سرعان ما تنتقل نفس الكلمة إلى سياق آخر تتغير معناها.

فيعرف أولمان ستيفن السياق بأنه « النظم اللفظي للكلمة و موقعها من ذلك النظم»[5] فالسّياق يحدد المعنى العام و الخاص للكلمة من خلال نظمها داخل الجملة، ونستخرج معناها من خلال السياق.

يقول تمام حسان بأنّه قد يتعدد معنى النمط التركيبي و ذلك لأسباب عديدة أهمها:

1- قد يتعدد معنى أداة الصدارة في قوله تعالى﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ [القارعة: 10] إذ تصلح ما للاستفهام كما تصلح للتعجب.

---

[1]- ، منقور عبد الجليل ،علم الدلالة أصوله و مباحثه في التراث العربي ،دمشق، سوريا،د.ط،2001م، ص88.

[2]- ينظر ،نفسه،ص88

[3]- نفسه،ص88

[4]- أولمان ستيفن، دور الكلمة، ص60.

[5]- نفسه ، ص57.

2- تعدد احتمال المعنى المعجمي للكلمة المفردة كما في قوله تعالى﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ ﴾ [الأنفال: 48] ، إذ من خلال الكلمة لا تعرف إذ ما كان يقصد بها الرؤية بصرية أو الرؤية الظنية أو رؤية منام.

إلى آخره من أسباب عديدة فيصبح هذا النمط بحاجة إلى القرينة تكون خارج الجملة المعروفة بقرينة السياق[1].

«فالسياق القرآني هو: تتابع المعاني و انتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال»[2]، «تتابع المعاني: ارتباط المعاني الفرعية مع بعضها البعض للوصول إلى المعنى الأصلي، "انتظامها": أي إن كل المعاني تسير وفق نظام محكم منظم، "و في سلك الألفاظ": أي إنّ اللفظ هو القالب الذي يسهّل كل المعاني و من خلالها تظهر صورتها،" ولتبليغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود": أي إنّ العمل الأساسي للسياق هو إعطاء المعنى التام والكامل يؤدي الغرض الذي من أجله نزل القرآن الكريم دون انقطاع": أي لا يجب أن تقف المعاني أو تنقطع فلا يصح أن تقف الآيات رأسا دون اكتمال المعاني: أي دون وجود فاصل أو عنصر دخيل ليس له واع من وجوده»[3] فلا معنى للفظة المفردة ولا معنى و لا وصول إلى المعنى المقصود ،فهذان العنصران لا يتحققان إلا من خلال قرينة السياق فمن خلال السياق يتحدد معنى اللفظ .

« ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه: situation of occurrenceتتفاعل المجموعة من المرتكزات strategies و التوقعات expectations والمعارف knowledge، و هذه البيئة الشاسعة تسمى السياق أما التركيب الداخلي للنص فهو

[1]- ينظر ،تمام حسان، بيان في روائع القرآن،عالم الكتب،القاهرة،مصر ،ط1، 1413هـ-1993م، ص212-211.

[2]-مثنى عبد الفتّاح محمود،نظرية السياق القرآني،دار وائل ،عمان الأردن،ط1، 1429هـ-2008م،ص15

[3]- ينظر، نفسه ، ص16.

سياق البنية co–text»[1]. ومن هنا يتضح لنا التباين بين السياق البنيوي الداخلي للنص وبسياق الموقف المتفاعل مع المرتكزات والتوقعات والمعارف .

المطلب الثاني: نظرية النظم عند عبد القادر الجرجاني.

نزل القرآن الكريم ذلك الكلام البليغ المليء برونق الجمال من بيان وروعة ونظم فقد أعجز العرب أن يأتوا بمثله، فشغلهم هو البحث في ثنايا هذا الكلام المعجز، فبيانه أدهشهم و أقبلوا يشربون منه و من ينابيعه فأصبحت الدراسات حول إعجاز القرآن تتوالى و تتكاثر و حينما تكاثر الجدل حول الإعجاز القرآني بين مؤيد و معارض و بين تحديد موقع الإعجاز، جاء عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ): ب"دلائل الإعجاز" يتضمن هذا الكتاب العديد من الفصول، من بين هذه الفصول: فصل نظرية النظم.

فالعربية التي نزل بها القرآن يعرفونها، و ألفاظ القرآن ليست مبتكرة فهي لغتهم في مجموع اللغات العربية و إن خفيت على قريش فهي عند سواهم، فهم أصحاب البلاغة و البيان، فالسؤال الذي حيرهم: ما الذي أدهشنا و أعجزنا في هذا الكلام؟ فكان عبد القاهر الجرجاني يجيبهم و يستكشف لهم عن سر الإعجاز.

إن نظرية عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) تدور حول قضية النظم التي تنضوي تحتها العديد من المحاور الأساسية أهمها: اللفظ، و المعنى، الفصاحة، البلاغة، اللغة والنحو و كان السبب الأساسي الذي دفع بعبد القادر الجرجاني بإتيان هذه النظرية هو ما ساد في عصره من الإسراف بالسجع و الاهتمام باللفظ دون المعنى فيؤكد بأن اللغة لا تقوم إلا بعنصري اللفظ و المعنى قال بأن الفصاحة و البلاغة لا تتحقق إلا بعد النظم فيكون

[1]– روبرت دي بوقراند، النص و الخطاب و الإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، ص1418هـ، 1998، ص91.

تركيب الكلام بحسب ما يقتضيه العقل و ارتباط الكلام لا يكون إلا وفق قوانين النحو ومقتضياته[1].

يقول عبد القهار الجرجاني:« و قد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره و التنويه بذكره و إجماعهم أن لا فصل مع عدمه و لا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، و لو بلغ في غرابة معناه ما بلغ و بتّهُم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه، و لا قوام إلا به»[2] و المراد بهذا القول هو أن أساس الكلام وقوامه هو النظم، فبالنّظم تترابط الكلمات و تستقيم المعاني وفق قوانين يقتضيها هذا الأخير –النظم–

يعرّف عبد القاهر الجرجاني بأنه:«ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق»[3] أي ضم الكلمة إلى كلمة أخرى فيشكلان معنا بحيث إن فصلت دلالتهما في هذه الحالة لا يكتمل المعنى، و كذلك عرفها « توخي معاني النحو»[4] أي أنه لا يصح الكلام إلا بالنظم و هذا الأخير يجب أن يكون وفق «ما يقتضيه علم النحو»[5] إن العلاقة الوطيدة بين النحو و البلاغة من اهتمام الجرجاني فكان كل تركيزه على فهم حقيقة النظم، فيقول بأن الكلمة المفردة إذا ترتبط بغيرها من الكلام فلا فائدة لها كونها صوتا نصوت به إذ لا تحقق فائدة خبرية و لا بلاغية و لا إلى ذلك و لا تظهر فائدتها إلا عند دخولها في الجملة[6].

يقرّ عبد القهار الجرجاني(ت471هـ) بأن سرّ الإعجاز القرآني يكمن في نظمه، و كما ذكرنا قبل أن العديد من العلماء قبل عبد القهار الجرجاني تكلموا عن نظم القرآن وأعطوا له أهمية كأمثال الجاحظ...الخ وذكر هذا عبد القهار الجرجاني في كتابه"دلائل

---

[1]– ينظر، أحمد شامة، خصائص العربية و الإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط ،1995، ص126،127.

[2]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،تعليق محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي،القاهرة ،مصر،ط5، 2004م ،ص80.

[3]- نفسه،ص49 .

[4]– محمد عبد النمعم خفاجي ومحمد السعدي فرهود وعبد العزيز شرف ،الأسلوبية و البيان العربي، الدار المصرية البنانية، القاهرة ،مصر،ط1، 1412هـ–1992م، ص67.

[5]–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.

[6]– ينظر، أحمد شامة، ، خصائص العربية و الإعجاز القرآني ،ص127

الإعجاز" فقال بأنه أنزلوه أحسن منزلة و وضعوه من الإعجاز أحسن محل أما الاختلاف بين عبد القهار الجرجاني و ما قبله في هذه النظرية : كون أن عبد القهار الجرجاني جعل نظرية النظم المرجع الأساسي في الإعجاز والمقياس الصحيح الذي يكون عليه الكلام الأدبي[1]، فوضع عبد القاهر الجرجاني «للبلاغة و النقد الأساس الصحيح، و هو نظم الكلام و العلاقات بين مفرداته على وجه يصور المعنى»[2]، صرّح عبد القهار الجرجاني الإعجاز؛ لا يقوم على اللفظ وحده لا وعلى المعنى وحده و إنما باللفظ والمعنى من خلال النظم فقد أعطى كلا حقه.

سُئل عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) « فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم، عّما ذا عجزوا؟ أعن معانٍ من دقة معانيه و حُسْنهَا و صِحَّتها في العقول؟ أما عن ألفاظ مثل ألفاظِه؟ فإن قلتم :عن الألفاظ ، فماذا أعجزهم من اللَّفظ أمْ ما بَهَرَهم منه؟»[3]، أي أنهم سألوه فيما يكمن الإعجاز في القرآن الكريم مع العلم أن العرب تدرك العربية ألفاظها و معانيها، فهل يا ترى أعجزهم معانيه الدقيقة؟ أم ألفاظه و إن قلتم ألفاظه فأين يكمن الإعجاز؟ فأجاب:« قلنا: أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نضمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه، و بدائعَ راعَتهم من مبادئ آيه ومقاطِعها، ومجارِي ألفاظِه و مواقعها (...) فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبُوا بها مكانُها، و لفظَةً ينكر شَانُها (...)بل وجدوا اتساقاً بهرَ العقول»[4] و بذلك كشف عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) لهم سر الإعجاز و هو في نظم الألفاظ بعضها ببعض، فكل لفظة في مكانها المناسب فهذا التضام و هذا التناسق جعل ذلك البديع، و ذلك المعنى الذي يأسر الألباب و يسلب العقول.

فيؤكد عبد القهار الجرجاني إلى ضرورة في معرفة الفصاحة أن تتعرض إلى الخصائص التي تعرض نظم الكلام، و لا تفاضل من حيث الألفاظ المجردة ولا من حيث الكلمة المفردة، و إنما تثبت الفضيلة و خلالها في ملائمة معنى اللفظة للمعنى الذي يليها

---

[1]– ينظر، محمد عبد النمعم خفاجي ومحمد السعدي فرهود وعبد العزيز شرف ، الأسلوبية و البيان العربي، ص71،72.

[2]– نفسه، ص72.

[3]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الاعجاز،ص39.

[4]- نفسه ، ص39.

أو ما أشبه ذلك، و يتكلم عن وجوه النظم في التقديم والتأخير والذكر والحذف، و الوصل و الفصل، و يعرف التشبيه والتمثيل و الكناية، الاستعارة[1].

و كما ذكرنا من قبل أن عبد القاهر الجرجاني وضع في النظم أساسا ألا و هو توخي معاني النحو على الناظم أن يكون هذا هو الشرط الأساسي في نظمه فلا يؤخر ما لا يجب تأخيره و لا يقدم ما لا يجب تقديمه و هنا يفسد النظم فيقول عبد القاهر الجرجاني:« و يكفيك أنهم قد كشفوا عن وجه ما أردناه حيث ذكروا فساد النظم، فليس من أحد يخالف في نحو قول الفرزدق:

وَ مَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ»[2]

«(...) وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم و عابوه من جهة سوء التأليف»[3] أي أن فساد النظم كان سببه الأساسي قول" يصح لشّاعر ما لا يصح لغيره" فكان التقديم والتأخير و الحذف و الإظهار في غير مقامهم و بذلك يقرّ و يؤكد الجرجاني على مراعاة قواعد النحو في النظم يجعل للسامع استحسانا و اهتزازا في نفسك كما في قول البحتري:

بَلُونا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنَ رأَيْنَا لِفَتْح ضَرِيبَا
هُوَ المَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الحَادِثَا تُ عَزْمًا وَشيكًا و رَأْيًا صَلِيبًا
تَنَقَّلَ في خُلُقيْ سُؤْدَدٍ سَمَاحاً مُرجى و بَأْسًا مَهِيبا
فَكَالسّيْفِ إن جِئْتَهُ صَارِخًا وَ كَالبَحْرِ إِن جِئْتَهُ مَستثِيبًا

فإن وجدت نفسك اهتزّت لها وأحسست بها، فانظر ما سبب ذلك فلا تجد إلاّ أنّه قدّم وأخّر، كرّر،حذف،عرف كيف يسيطر على بناء الجملة ،فأصاب في ذلك [4].

---

[1]-ينظر، محمد عبد المنعم خفاجي ومحمد السعدي فرهود وعبد العزيز،الأسلوبية والبيان العربي،ص 77.

[2]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز،ص83.

[3]- نفسه، ص84.

[4]- ينظر،عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص85.

يقول: و من دقيق ذلك و خفيّه ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى:﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ [مريم:4]، لو أسندنا الاشتعال للشيب و قلنا اشتعل شيب الرأس نأخذ اللفظ و نسنده للشيب صريحا فهل يا ترى ذلك الحسن الذي رأيناه في الآية:

﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ و هل ترى تلك الروعة؟ لا طبعا و لو نظرنا إلى السبب كأن تقول: "اشتعل البيت نارا" فيكون أن النار هي من استولت على البيت، و أما إن قلت اشتعلت النار في البيت فلا يفيد ذلك[1]أي إنّ لفظ الاشتعال عندما أُسند لما لا يجب أن يسند إليه وقع الجمال و الروعة، بحيث جئنا بلفظة الاشتعال و أسندناه بغير موضعه و هو الرأس فكيف لهذه الصورة التي أتى بها القرآن استطاعت أن تترك ذلك الأثر في نفس القارئ، فتتخيل اشتعال الرأس بالشيب و كأن النار تلتهم ذلك الرأس، لذلك اعتبر سيد قطب أن عبد القاهر الجرجاني هو أول من مهّد له طريق نظرية التصوير.

المطلب الثالث: نظرية التصوير عند سيد قطب

تناول السيد قطب نظريته ببحث في مجلة تحت عنوان:" التصوير الفني في القرآن" تناول فيه عدة صور كشف عن جمالها الفني ،و بيّن كيف استطاعت ألفاظ مجردة أن تصور ما عجزت عنه ريشة رسام و آلة مصور و كان نقطة البداية لهذا البحث هو "الجانب الفني الخالص"[2].

يجزم السيد قطب أن القرآن سحر العرب من وصلته الأولى، فهناك من شرح الله صدره للإسلام أول ما سمع آياته كأمثال عمر بن الخطاب حينما سمع سورة طه فقال:"ما أحسن هذا الكلام و أكرمه"[3] فدخل الإسلام و هناك من سمع و انبهر به كأمثال الوليد

[1]-.ينظر،نفسه ،ص101.

[2]– ينظر،سيد قطب، التصوير الفني في القرآن،دار الشروق،القاهرة ،مصر،د.ط،ص 8–9.

[3]– ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص12.

بن المغيرة و «الله إن لقوله لحلاوة و إن عليه لطلاوة و إنه ليحطم ما تحته و إنه ليعلوا و ما يعلى »[1]

لم يقتصر القرآن الكريم في إعجازه على المؤمنين وحسب، بل تعدّى تأثيره لغير المسلمين ممن كفروا به ،و هذه دلالة دامغة على قوة هذا الكلام المعجز من كلّ جوانبه و تأثيره على كل متذوقيه.

لقد استحوذ القرآن على العرب كل الاستحواذ، فيقول سيد قطب إن البحث في ثنايا القرآن الكريم، بحث عميق جدا فهناك بعض السور التي لا تشريع فيها و لا غيب ولا علوم و قد سحرت العرب منذ الوهلة الأولى؛ إذ لابد أن لهذه السور عنصر يسحر المستمعين في وقت لم يكن القرآن جملة واحدة، فيها من التشريع و الأغراض الكبرى التي تستدعي إحساسهم، إذا السحر الذي كان يظهر لم يكن كامنا في التشريع والغيبيات والعلوم الكونية، يقول سيد قطب أنه كامن في صميم النسق القرآني ذاته[2] ،هناك من نقد سيد قطب في جزئية سحر القرآن واعترض عن هذا التعبير وفضّلوا لو استخدم "روعة القرآن"أو جاذبية القرآن، لأنّ معنى السحر يدل على الخداع وهذا ما كان يقصده المشركين حينما وصفوه بالسّحر ولكن سيّد قطب كان ردّه بأن المعنى اللغوي يحتمل كِلا المعنيين ،سواء معنى الخداع أو الجانب الإيحائي من روعة وجمال و العرف الادبي هو الذي يحدد هذا المفهوم ،وبذلك فسحر القرآن هو وصف واستحسان ،فما يُقصد به سحر القرآن هو : الروعة وقوة التأثيرفي النفوس[3]

ويدرج نماذج من بينها قال تعالى:﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ

[1]– نفسه ،ص13.

[2]-ينظر،نفسه ،ص17-19-22.

[3]-ينظر ،صلاح عبد الفتّاح الخالدي ،نظرية التصوير عند سيد قطب،دار شهاب ،باتنة ،الجزائر ،د.ط، ص 86-87.

ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ [المزمل:14-19] .

ففي الآية:﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ يقول سيد قطب أن هذه الصورة « صورة ذلك الهول الذي ترتجف له الطبيعة في أكبر مجاليها الأرض و الجبال»[1] فيخيل لنا صورة الأرض و الجبال و هي ترتجف يا لهول المنظر ! فنحن حينما ننظر إلى إنسان و هو يرجف تقشعر أبداننا، و نرتبك من منظره و نتأثر به كل التأثير فما بالك الأرض و الجبال و هي الآن جامدة لا تتحرك فيتحول هذا الجمود واللاّحركة إلى هول يالهذه الصورة ! و كيف جسدها القرآن الكريم وكيف صورتها ألفاظه حينما التقطتها أعيننا، فجسدت في خيالنا و ترجمت إلى صورة حسية ،إن صورة الهول هنا تنفطر لها السماء، ومن الصور التي ارتسمت في الطبيعة الصامتة و أحيتها حينما يتأملها الخيال تهتزّ لها الوجدان من هول المنظر[2].

فقد تناول سيد قطب العديد من النماذج التي جاءت في القرآن الكريم، فمن بينها:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[الزمر:68] ،فيصور هنا المشهد و كأنها صور شاخصة حافلة بالحركة و الحياة[3]،فيُرتسم في الخيال صورة النفخ وكأن كلّ من هو على الأرض كلّ المخلوقات ،وكأنهم مثل الأوراق حينما تهبُّ ريح قوية ،يتطايرون بين اليمين والشّمال إلاّ عباده الصالحين ،ثمّ يصوّر إليك صورهم مرّة أخرى وهم ينظرون مذهولين.

فيجزم سيد قطب أن عبد القاهر الجرجاني كان على وشك أن يصل إلى هذه النظرية في كتابه دلائل الإعجاز، لولا عنصري "اللفظ و المعنى" اللذين أخذا منه الكثير في شرحه لقوله تعالى﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم :4]و فقد شرح الجرجاني الصورة

---

[1]– سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص22

[2]– ينظر،نفسه، ص23.

[3]– ينظر، نفسه ، ص30.

إلاّ أنه ركّز أكثر ما ركّز على جانبها البلاغي "الاستعارة" و كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ [القمر:12] فرحم الله الجرجاني فقد نوه

إلى هذين الصورتين و كان على وشك أن يقول على أنها تصوير وسكت[1].

فيا عجبا كيف للألفاظ الجامدة أن تكون هي الأداة التي تصور المعنى الذهني، والحالة النفسية، و تشخص النماذج الإنسانية أو الحادث المرويّ، رغم أنّها لا لون فيها لتصوّر ،و لا هي بشخوص لتعبر فهذا نفسه الإعجاز[2].

فيقول سيد بأنه يجب علينا أن نتوسّع في معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن فهو تصوير باللون و الحركة و تصوير بالتخيل، ويؤكد بأن الكثير من الأحيان الوصف و الحوار و جرس الكلمات و نغم العبارات و موسيقى السياق تشترك في إبراز صورة من الصور تلتقطها العين و الأذن و تتملاّها المشاعر والأحاسيس فتتجسد في الخيال فيتبنّاها الفكر و الوجدان[3].

فإن تحرير المعاني سمة من سمات التعبير القرآني، فقد صوّرت معانٍ ذهنية وحالات نفسية و كأنما صور مباشرة أمام أعيننا، فتصبح الطبيعة شاخصة و الحوادث مشاهد أمامنا و العذاب و النعيم صور تتلذذ تارة و تقشعر لها أبداننا تارة أخرى ، كأنما كلها حاضرة شاخصة بالتخيل الحسي الذي يفعمها بالحركة و الشيء الأكثر انبهارا هو التدرج في التصوير من العام إلى الخاص و إبداعيه التسلسل ،إن هذه الريشة المبدعة ما مست جامدا إلا نبض بالحياة ولا عرضت مألوفا إلا بدى جديدا وهذه قدرة قادر، فالصّبح مشهود يولد كل يوم مألوف و لكنه في التعبير القرآني حي جديد﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[التكوير:18] و ها هو الليل، معهود لدينا إلّا أنّه في التعبير القرآني حي جديد و﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾[الفجر:4] والظلُّ معروف لدينا إلاّ أنّه في التعبير القرآني نفس تحس وتتصرف:﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٖ﴾ [الواقعة :46-47] ،و الجدار بنية

[1]– ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ،31–32–33.

[2]–ينظر ، نفسه،ص37.

[3] -ينظر ، نفسه،37.

جامدة و لكنه في التعبير القرآني يحس[1] ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾[الكهف:76] .

[1]- ينظر،سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص251.

الفصل الثاني: التصوير و أدواته وخصائصه

1. **المبحث الأول: التصوير و ما يتضمنه**

المطلب الأول: الصورة والتّصور

المطلب الثاني: التصوير

المطلب الثالث: من المعاني الذهنية إلى الصور الحسيّة

2. **المبحث الثاني: أدوات التصوير**

المطلب الأول: الأسماء و الأفعال.

المطلب الثاني: الآية.

المطلب الثالث: القصة.

3. **المبحث الثالث: خصائص التصوير و أثره**

المطلب الأول: التخييل الحسي

المطلب الثاني: التجسيم

المطلب الثالث: أثر التصوير في الدراسات القرآنية المعاصرة.

1.المبحث الأول: التصوير و ما يتضمنه

المطلب الأول: الصورة والتّصور

تعريف الصورة و التصور:

تعمل في إنتاج الصورة العديد من العناصر سنحاول أن نكتشفها من خلال تعريف الصورة ،فقد اختلف مفهومها من أديب إلى آخر وكانت هذه التعريفات كالآتي:

« إن الصورة ابنة الخيال الذي يجمع المتضادات، و يصهر المتنافرات في بوتقة واحدة، لِنَقُلْ إنها تجربة حياتية و إنسانية، بكل ما فيها من أبعاد داخلية و خارجية»[1].

و بما أن الصورة هي ابنة الخيال، الذي بحوزته أن يحلِّق بنا في كل الفضاءات التي لا يمكن أن نصل إليها في واقعنا، بل ربّما يرسم لك معبرا إلى كل الطرق حتى التي يستحيل أن نصل إليها في الواقع و يتمثل هذا المعبر في ما يسمى بالصورة.

فالصورة إذن هي:« معطى مركب معقد من عناصر كثيرة من الخيال والفكر والموسيقى»[2] وبذلك تتّفق العديد من العناصر في إنتاج هذه الصورة وهم عنصر هو الخيال ومنه« لا نستطيع تأسيس أي مفهوم للصورة الفنية بعيدا عن الخيال»[3] فيقول« (سي دي لويس): فإنها لاتحلّق في الأجواء النفسية إلا بجناحي الخيال الذي يملك قدرة سحرية عجيبة على التأليف بين المتناقضات،فتبدو في شكل جميل يعمق شعورنا بالجمال و الحياة »[4] فالخيال يلعب دورا رئيسا في إبراز ملامح الصورة ربما هناك عناصر أخرى إلَا أن هذا الأخير هو العنصر الرئيسي مقارنة مع باقي العناصر.

---

[1]- محمود سليم هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 1428هـ-2008م، ص5.

[2]- عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، د.ط، 2005م، ص56.

[3]- نفسه، ص59.

[4]- عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري ،ص59.

فالصّورة إذن هي « عبارة عن العلاقة القائمة بين اللفظ و المعنى في نص أدبي والحصيلة الناجمة عن اقترانهما، فهي غيرهما منفصلين و هي امتداد لهما مجتمعين، فليست هي اللفظ المفرد شكلا فارغا رنانًا، و لا المعنى بذاته مضمونا ذهنيا مجردا (...)هي مزيج بين دلالة اللفظ و إيحائية المعنى في تحقيق نموذج أدبي أو تمييز نص عن نص بما تضفيه صياغة الشكل في علاقاته الاستعارية و تمليه خصائص المعنى في تأثيره وأحاسيسه»[1].

إذن فالصورة يصنعها الخيال من خلال عنصري اللفظ و المعنى معًا فيعتبران شرطان أساسيان في تبلور هذه الأخيرة مما ينتج لنا صورة حية متحركة.

أما التصور فهو: « مرور الفكر بالصور الطبيعية التي سبق أن شاهدها و انفعل بها، ثم اختزنها في مخيلته– مروره بها يتصفحها»[2]

وعليه فالتصور هو معلومات يختزنها الفكر من صور طبيعية التي مرَ عليه رؤيتها من قبل فتصبح مجسدة في الفكر.

« لقد جعل عبد القاهر الجرجاني من خصوصية الصورة أساسا فنيا في تقويم و ربط أجزاء هذه الصورة بالعلائق منطلقا من ذوقه، مستعينا بالنحو في ضبط ما يضبط من هذه العلائق أو الروابط بين الألفاظ إيمانا منه بأنها مطلقة و ليست محددة» [3]فلو تأملنا قليلا في مفهوم الصورة فنجد مفهومها يختلف من أديب إلى آخر، كما أن الصورة في مفهومها البلاغي تختلف عن الصورة في مفهومها الفني الجمالي، فعند البلاغين كأمثال عبد القاهر الجرجاني يقصدون بها الاستعارة أو الكناية أي الصورة عندما ترتبط بالجانب البلاغي أما

[1]– حسن حميد فياض،الصورة المفردة والمركبة في سورة الواقعة،مجلة مركز دراسات الكوفة،العدد السادس،2007م،ص330

[2]– صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب،دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ط، ص 74.

[3]–محمود سليم محمد هيجانة، الصورة النفسية في القرآن الكريم،ص7.

الصورة عند سيد قطب فمفهومها فني جمالي. وهذا المفهوم يسمو بالروح في عوالم الجمال ،رفيقه الخيال وهو حجر زوايته، سموٌّ وعلوٌّ خياليّ يكوّنان معا روعة التصوير

المطلب الثاني: التصوير

تعريف التصوير: لقد اهتم سيد قطب بظاهرة التصوير و كان مركزا في بحثه هذا على الجانب الفني، وغاية مراده إبراز الجانب الجمالي، فرأى أنَ التصوير الفني والجمال صنوان متلازمان، فتوصّل إلى أنّ التصوير في القرآن هو الأداة و هو القاعدة في التعبير القرآني، « و طريقة التصوير هي أجمل طرائق التعبير و أفضلها في الفن و الدين»[1] وهذه نتيجة توصل إليها سيد قطب من خلال بحوثاته العديدة في القرآن، تذوّق القرآن وتمعّن في آياته و بيانه و جماله و توصل إلى هذه الظاهرة–التصوير– التي اعتبرها أجمل طرائق التعبير.

فعرَّف التصوير:« هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني، و الحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، و المشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني ، و الطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة و إذا النموذج الإنساني شاخص حيّ، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، و أما الحوادث و المشاهد، و القصص و المناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، و فيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل»[2] وبتعريف سيّد للتصوير فقد قنّن وسنّ ما يجعل التعبير القرآني في حلّة جمالية خضراء تكتسي بها العبارات والتعابير القرآنية التي تكون بهذا مختلفة عن كلّ ما نطق وتلفّظ به المتكلّمون والبلغاء ، متجمّلة بروعة الإعجاز النظميّ .

[1]– سيد قطب، مشاهدة القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط6، 1427هـ، 2007م، ص8.

[2] –سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، د.ط، ص 36.

هذا التصوير الساحر جعل للجامد حركة يحيا بها ،وجعل للمتحرك متعة الحياة والدّبيب ،حياة لم يعشها من لم يعرف قائل هذا النظم

ولقد تناول العديد من الباحثين مفهوم التصوير وفصّلوا فيه ،فمنهم من يقول :

« التصوير عملية إبداعية خلاقة تضفي على الموضوع المصور ما تملكه الذات المصورة من خيال مبدع بحيث تمنح له حرية التصرف في شكل الشيء المصور وأوصافه وملامحه و تفاصيله، و حرية الإضافة إليها أو الحذف منها، و كذلك حرية التعديل والتغيير وفق إرادة المصور المبدع و مشيئته و رغبته، و بما يتوافق مع أهدافه و ويتواءم مع غاياته شكلية كانت أم موضوعية، جمالية أم فكرية، مادية أم معنوية»[1] فقد أعطى التعبير القرآني لخيال القارئ حرية التصور و الغوص في العديد من المواقف المذكورة في القرآن الكريم و رسم تفاصيل بعض الأمور مع تجنب التأويل فيما يجب التسليم به، إذن « التصوير طبيعة التعبير و وسيلته»[2]

فالتّصوير هاهنا لبٌّ وجوهرٌ لعملية التعبير التي هي عملية إبداعية جمالية بالدرجة الأولى ولا يتأتى لنص أن يزاحم حروفه جمال ورونق إلا إذا زاحمه عنصر التصوير.

ويعرّف التصوير بأنه:« طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية و تأثير، ولكن أيًا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طريقة المعنى في ذاته إنها لا تغير إلَا من طريقة عرضه و كيفية تقديمه»[3] لذلك أعتبر التصوير الأداة المفضلة في

[1]–عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1427هـ–2006م، ص123.

[2]– نفسه، ص123.

[3]– جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص323.

القرآن أعطى للقارئ حرية التخيّل لأنه مهما كان هذا التصوير في خيال القارئ لن يغير في المعنى الذي أراده الله عزّ وجل شيئا.

يقول الباقلاني:« لكل شيء طريق يتوصل إليه به، و باب يؤخذ نحوه فيه و وجه يؤتى منه، و معرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت لك، و أعمق و أدق و ألطف، و تصوير ما في النفس، و تشكيل ما في القلب، حتى تعلـمه و كأنك مشاهد: و إن كان قد يقع بالإشارة، و يحصل بالدلالة و الأمارة، كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح »[1]

فالتصوير يجعلك مشاهداً للوقائع و الأحداث و كأنها تسري أمامك فتحزن تارة وتفرح تارة أخرى.

يقول فهد الرومي: « و يراد بها إظهار المعاني بكلمات تكاد أن تجعلها بصورة المحسوس حتى تهم بلمسها بيدك و حتى تلج إلى ذهنك مترابطة متكاملة لا تكلف منك مشقة تركيبها، و لا تثقفه بمهمة تجميعها فتفسره قسرا على الفهم و الإدراك، بل تفجّؤه بانطباعها فيه بمجرد توجيهه إليها»[2]، فالتصوير إذن هو إحالة المعنى في الذهن إلى صورة حسية، حركية مجسدة.

المطلب الثالث: المعاني الذهنية و الصور النفسية

[1]– الباقلاني، إعجاز القرآن ،تحقيق السيّد أحمد صقر،دار المعارف ،القاهرة مصر، د.ط، ص244.

[2]- فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، خصائص القرآن الكريم، دار العبيكان، الرياض، السعودية، ط10، 1420 هـ –1998 م، ص50.

عند قراءة الآيات القرآنية تصور لنا هيئات متنوعة ترسم في خيالنا صوراً متعددة، شاخصة، متحركة تتماشى مع هذه المعاني[1] ، فمن خلال قراءة الآية ينتقل المعنى إلى الذهن فيشكل صورا في أذهاننا، إن الطريقة التي جعلت لهذه المعاني صورتها، هي طريقة "التصوير الفني"، فإن هذا التصوير ليس تجسيد صورا فحسب و إنّما اصطلح عليه بالتصوير الفني لأنه تصوير يخاطب العقل و المنطق و الوجدان[2] .

فلقد استنبط بعض أسرار الإعجاز القرآني في هذا النوع من المعاني- المعاني الذهنية- أنّه كيف للكلمة الجامدة التي لا لون فيها و لا حياة تصور لنا معانٍ و كأنها شخوص، متحركة[3] ، لقد استطاع التصوير أن يرسم في أذهاننا صور لتلك المعاني المتنوعة و يجسدها صورا شاخصة متحركة بفنية عالية.

فتجد هذه المعاني الذهنية تتحول إلى صور حسية فمثلا في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: 40، 41] فحين قراءة هذه الآية تُرتسم بالخيال صور أبواب السماء مغلقة في وجوه الذين استكبروا، و صور أخرى ترسم ولوج الجمل في سم الخياط،

[1]- ينظر، صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص200.

[2] -ينظر، نفسه، ص200.

[3]- ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص36،37.

فيتمثل المعنيان إلى الذهن ليرسم في الخيال صورتين مختلفتين توقع حساً عميقاً في النفس[1].

إذن فالمعاني الذهنية جسّدها القرآن في صور حسية عن طريق الخيال فتلتقط العين تلك المعاني إلى العقل، فيحولها الخيال إلى صور شاخصة مفعمة بالحركة فيتحول المجرد إلى محسوس، فتتحول تلك الأفكار المجردة إلى صور حسية فتصبح تلك المعاني الذهنية قريبة إلى ذهن القارئ و السامع و إدراكه الحسي.[2]

قال تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَىۡءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 264]

صوّرت الآية الرّيَاء، في إنفاق المال بغية الشهرة، فيفسد المنفق إنفاقه بالرّياء كمثل حجر أملس ناعم تعلوه طبقة من التراب فينخدع الناظر إليه، و يظن صاحبه أنَه سيجازي إنفاقه في الآخرة فيصطدم به يوم القيامة[3].

« و المعاني الذهنية المجردة التي تخرج في التعبير القرآني في صورة حسية شاخصة، كثيرة و تتوزع رقعة واسعة من التعبير القرآني»[4] حيث نجد أن التعبير القرآني مفعم بهذه المعاني الذهنية المجسدة في صور حسية شاخصة فمن بين هذه المعاني نجد في

---

[1]– ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ،ص38.

[2] –ينظر، عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، ص133.

[3]- ينظر، نفسه ، ص134.

[4] –صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص200.

قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة: 101]

تُجسد لنا هذه الآية معنى ذهنيًا و هو حال الكافرين، حينما أرسل الله لهم رسولا معه الكتاب فأبوا أن يصدِقوه و شبههم بأنهم رموه وراء ظهورهم؛ أي لم يلتفتوا إلى هذا الكتاب وأبعدوه كل البعد، فينقل لنا هذا المعنى في صور «من دائرة الذهن إلى دائرة الحس، و يمثل عملهم بحركة مادية متخيّلة، تصوّر هذا التصرف بشعا زريا، ينضح بالكنود و الجحود ويتّسم بالغلظة و الحماقة، و يفيض بسوء الأدب و القحة، و يدع الخيال يتملى هذه الحركة العنيفة، حركة الأيدي تنبذ كتاب الله وراء الظهور»[1]

و في تصوير المعاني الذهنية و الحالات المعنوية و النفسية قوله عزَ و جل: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٖ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: 27]

ففي هذه الآية تجسد لنا صورة العاصين و الجاحدين تكسوا وجوههم الذلّة المهانة و السخط و كأنها غشاء أسود من سواد الليل تغشوا وجوههم و ذلك لكثرة سيئاتهم[2].

[1] –سيد قطب، في ضلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط15، 1408هـ–1988م، ج1، ص95.

[2]- ينظر، عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، ص 137.

قال تعالى:﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : 171]

يا لروعة التعبير القرآني و قدرته في تصوير الحالات النفسية و تشخيص المعاني الذهنية، فعند قراءة الآيات تلمس ذلك الإبداع يشع من الصورة النفسية فيكوّن ذلك الإبداع في عرضها و نسجها، و قوة نسقها، بحيث تراها العين فتشربها النفس و تتأثر لها الوجدان فتترك ذلك الأثر [1]

استطاعت الصورة أن ترسم في خيال القرّاء و تترك ذلك الطابع الذي يبقى أثره في النفس و هذا لا يُتاح لأي صورة من الصور سوى الصورة القرآنية « لأنها قد رسمتها الريشة المعجزة، رسمتها بالألوان و الخطوط و الحركة و النغمة التي لها خاصيتها»[2]،و بذلك استطاعت الريشة المبدعة أن ترسم لنا هذه الصور المبدعة المزخرفة بألوانها و حركتها وخطوطها فسبحان الخالق الذي يعجز الألسنة و العقول عند قراءة كتابه العزيز، فمهما كان صاحب القدرة اللغوية و الموهبة العقلية أن يرسم صور مبدعة مفعمة بالحركة تتملّاها روح الحياة، و تشعشع بمختلف الألوان لا يستطيع؛ لأنه ما يوجد في هذه الصور من خصائص لا توجد في أي صورة من الصور.

قال تعالى:﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ [السجدة: 15] ،فيا لقوة التصوير في هذه الآية فكأنّ الصورة حاضرة فالنتأمل في الانفعال الذي مثّلته الاية في السجود من المؤمنين حين سماعهم لآيات الله فيصور لك حال المؤمنين عند سماعهم لكلام الله وتأثرهم

[1] – ينظر، محمد سليم محمد هيجانة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص232.

[2] – نفسه، ص 233.

به تأثر شديد جعلهم يخرُون سجدا بخشوع « فخروا سجدا: أي خاضعين لها خضوع ذكر الله و فرح بمعرفته»[1] ،فيصور لك صورة الفرح المرتسم على وجوههم «إنّ الخيال ليكاد يجسّم هذا "الخرور" الذي ينبئ أو يعبّر عن سرعة الحركة في تنفيذ السجود ناهيك عن دلالة اللفظ بما يوحي من السقوط، يُسمع منه خرير»[2] و بها تتجسد الصورة كاملة، صورة المؤمنين و هم يقرؤون آيات الله و سرعة سجودهم و الفرح يرتسم بملامح واضحة يراها الناظر و يحس بها الكفيف.

قال تعالى:﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [البقرة: 234] « يتربصن بأنفسهن أي: ينتظرن و يعتددن مدة "ثلاثة قروء" أي: حيض أو إطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك، مع أن الصحيح أن القرء الحيض»[3] فأوجب الله على المطلقة أن تتربص عن الزواج 3 أشهر و ذلك لأسباب عديدة فالتسيير في هذه الآية يصور لك حالة نفسية دقيقة[4] ،لأنّ المرأة هي المطلّقة فعليها أن تتربص 3 شهور، وهنا تتصور لنا حالة المرأة النفسية وهي مطلقة ، فكان أمر الله لها في تربصها ثلاثة أشهر لأغراض عديدة أهمها أن تخرج أي شعور تكمنه داخلها اتجاه ذلك الرجل ففي ثلاثة شهور تخرج كل ما بداخلها حتى تبدأ حياة جديدة صافية .

[1] –السّعدي، تسير الكريم الرحمان في تفسير الكريم المنان، قدم له محمد بن صالح العثيمين و عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 1426هـ–2005م، ص719.

[2] – ينظر، محمود سليم محمد هيجانة، الصورة النفسية في القرآن الكريم، ص 33.

[3] –السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص93.

[4] – ينظر، سيد قطب، في ضلال القرآن، ج1، ص245.

2.المبحث الثاني :الأدوات التصوير:

المطلب الأول:

1/الاسم:

قال تعالى:﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا ﴾ [الأنعام: 25] ،فنجد في هذه الآية لفظتان صورتا الموقف تصوير مجسدا هما: الأكنة و الوقر أما الأكنة:« الأغلفة التي تحول دون أن تتفتح هذه القلوب فتفقه»[1] فيخيل إليك صورة الأغلفة التي تحتوي هذه القلوب و كأنها تحجب عليها رؤية الحق، فيصبح القلب أعمى لا يرى سوى السراب. أمَا الوقر:« الصم الذي يحول دون هذه الآذان أن تؤدي وظيفتها فتسمع»[2]

و كأنه هذا الوقر غطاء سميك يوضع داخل الأذن حتى لا تسمع، وبذلك فاستطاعت لفظة "وقر" أن تصور لنا الأذن و بداخلها هذا الغطاء السميك.

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: 96]

« فلفظة: مزحزحة ذاتها تخيل حركتها المعهودة (...) و هذه الحركة تخيل الموقف على شفا النار، ماثلا للخيال و الأبصار»[3]، فيخيل لك صورة الزحزحة و هو الجلب بقوة وكأنك

---

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص 1065.

[2]– نفسه، ج2، ص1065.

[3]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 76.

تجُر شيئاً بالغصب أي و إن أرادوا الخروج من العذاب بالغصب لا يستطيعون ذلك فاستطاعت هذه اللفظة أن تصور لنا الموقف.

2/الفعل: و من الأفعال التي لها تأثير في التصوير نجد:

قال تعالى:﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق:15] فنجد لفظة لنسفعن هنا:« بهذا اللفظ الشديد المصور بجرسه لمعناه و السّفع هو: الأخذ بعنف»[1] فنجد هذا اللفظ يصور لنا هول المنظر فيوصل إلينا تلك الصورة الغاضبة العنيفة.

و من الأفعال التي لها وقع في التصوير: نجد في قوله تعالى:فَخَرَجَ ﴿ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:21]

يترقب « هنا يصور هيئة القلق الذي يتلفّت و يتوجّس، و يتوقع الشرّ في كل لحظة... و هي سمة الشخصية الانفعالية تبدو في هذا الموقف كذلك. و التعبير يجسم هيئة الخوف و القلق بهذا اللفظ».[2] فهذا اللفظ يصوِّر إليك موقف سيدنا موسى و هو خائف قلق يترقب يمينا و شمالا مما سيأتيه بعد المصيبة التي وقع بها فرتسمت اللفظة صورة عيناه و فمه و يداه ترتجفان من ما سيأتي.

و من الأفعال كذلك الفعل يمُنّ في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[ابراهيم:11] «و هي منّة ضخمة لا على أشخاص الرسل وحدهم، و لكن كذلك على البشرية التي تشرف بانتخاب أفراد منها لهذه المهمة العظمى. مهمة الاتصال و التلقي من الملأ الأعلى و هي منة على البشرية بتذكير

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص 3943.

[2]– نفسه، ج5، 2683.

الفطرة التي ران عليها الركام لتخرج من الظلمات إلى النور»[1] استطاعت لفظة المنَ أن ترسم لنا نعم الله تعالى على عباده،هذه النعم التي لا تُعد ولا تحصى ،فترسم صورة العطاء وهي تتهاطل على عياد الله منه سبحانه وتعالى.

3/الحرف:

بما أن الأسماء و الأفعال في القرآن الكريم لعبت دورا هاما في التصوير كذلك الحرف، هو الآخر كان له دور فعالٌ في عملية التصوير.

قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ [طه:71]

قال السّمعاني (ت489):« معناه على جذوع النخل :وذكر كلمة في،لأنّ المصلوب يصلب مستطيلا على الجذع ،فالجذع يشتمل عليه »[2]

وقال البيضاوي(ت691):«شبه تمكّن المصلوب بالجذع بتمكّن المظروف بالظرف وهو أول من صلب»[3] و قال إبن عاشور «مع أنّ الصلب يكون فوق الجذع لا داخله ليدلّ على أنّه صلب متمكن يشبه حصول المظروف في الظرفّ فحرف "في" استعارة تبعيّة تابعة لاستعارة متعلق معنى (في) متعلّق معنى "على"»[4] ومعنى حرف "في" في هذه الآية كان له دور في تصوير مشهد العاقبة الفرعوني، في استعمال "في" بدل "على" له دلالة عميقة في توكيد معنى العذاب الشديد، الذي جعل من أجساد السحرة والجذع جسما واحداً من فرط الصلب.

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، 2091.

[2] –أبو المظفر السمعاني ،تفسير القرآن ،تحقيق أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم،دار الوطن ،الرياض ،السعودية ،ط1، 1418هـ-1997م،ج3،ص 342.

[3] – الشيرازي البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،إعداد وتقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي،إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان،ط1،ج4،ص33

[4] –الطاهر عاشور ،التحرير والتنوير،دار التونسية للنشر،تونس ،د.ط،1984م،ج16،ص 265.

المطلب الثاني : الآية:

وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة:41،44] فهو يصور حال المشركين يوم القيامة في نار جهنم « فسموم هو: ريح حارة من حر جهنم (...)، و الحميم: ماء حار يقطع أمعائهم، و ظل من يحموم: لهب النار يختلط بالدخان»[1] و لو تمعنا في هذه الكلمات لصوّرت لنا معانيها فيخيَل لنا أصحاب النار و أصحاب الأعمال المشؤومة في الدنيا، و كيف يُساقون إلى نار جهنم في تلك الريح الحارة التي تحرق جلودهم فيصب عليهم ماء حار يقطع أمعاءهم فيخيل لنا صراخهم و بكاءهم و هولهم و ندمهم على ما فعلوه، في الدنيا و يصف لك الدخان ، الذي يصعد من شدّة لهب النار يالهول المنتظر، صور مجسدة حقيقية يصورها لك التعبير القرآني من خلال بعض الألفاظ تترك في النفس أثرًا.

و يقول تعالى:﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴾ [الواقعة: 57، 58] و أما الهيام هو شدة العطش، فالقرآن صور هؤلاء المشركين حين يُصاقون إلى جهنم على هذا الحميم فيصابون بالعطش الشديد من شدَة الحر، و كأنهم قطيع ابل مصابة بداء الهيام تشرب و لا ترتوي[2]

قال تعالى :﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [فاطر : 13]

يقول سيد قطب:« و التعبير التصويري لهذه الحقيقة الكبيرة يلأ بها القلب و المشاعر و البصر و الحواس»[3] فتقف الكلمات عاجزة أمام هذا التصوير و قدرة الخلاق

---

[1]–السعدي، تسير الكريم الرحمان في تفسير، كلام الرحمان، ص 928.

[2] ينظر، عبد الحليم حنفي، التصوير الساحر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، د.ط، – 1992م، ص 216.

[3]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 384.

في « أخذ هذا من ذاك و أخذ ذاك من هذا عند دورة الفصول»[1] فإعجاز لفظ (الإيلاج)هنا وقدرته على رسم صورة واقعية محسوسة تتغير بتغير فصول السنة ،فاليل والنهار متعاقبان يأخذ كلّ واحد منهما الأخر متباينين بين صيف و شتاء طولا وقصرا

« شيئا فشيئا يتسرب غبش الليل إلى وضاءة النهار. و شيئا يتنفس الصبح في غيابة الظلام»[2] واقتران وصف التنفس بالصبح أنسب، وكأن ظلام الليل قد كان عباً ثقيلا قد كان يرهقه وانزاح عنه حين تنفّس . « و هذه أو تلك حركة لا يدّعي الإنسان أنّه هو الذي يمسك بخيوطها الخفية الدقيقة، و لا يدّعي كذلك عاقل أنها تمضي هكذا مصادفة بلا تدبير»[3] ،بل هي قدرة يذهل العقل البشري عن إسيتعابها فلا يسعه إلاّ أن ينزّه المولى مسبّحا إياه .

و كذلك تصوير في الآية الكريمة:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: 118]

إنّها صورة، ناطقة ترسم السمات، و تسجل المشاعر الباطنة، فيخيل للمسلمين هذه الفئة أنهم أصحاب خير فيمنحونهم الود و الثقة و في المقابل هم يهيئون لهم الشوك في طريقهم أينما أتيحت لهم الفرصة[4] فقد رسم القرآن هذه الصور رسم دقيق فيرسم لك البغضاء الخارجة من أفواههم فيخيل لك حالتهم و هم يهيؤون للمؤمنين فخًا في حين أن المؤمنين

[1]– نفسه ، ج1، ص384.

[2]– نفسه، ج1، ص384.

[3] –نفسه، ج1، ص 384.

[4] –ينظر، سيد قطب، مشاهد القيامة، ص 146.

أعطوا لهم كلَ الثقة والمودة، قال تعالى:﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [يونس:54]، فالتعبير في هذه الآية يرسم لك صور لمن يواجه العذاب فيكتمه داخل نفسه،

فالصورة هنا حزينة لا ترى هذه الندامة سوى تعبير في الوجوه من خلال الملامح[1] بهذا التصوير الدقيق الذي يترك للخيال مساحة، يتأمل فيها القارئ هذه الكلمات ،حال النادمين حين رأوا العذاب، و أنت تتخيل صور الندامة تستشعر حزنه و كآبته وندمه، فتستحضرك صور تأنيب الضمير، دون شكوى، استطاعت هذه الكلمات أن تصور لنا حال النادمين و تركت لخيالنا فسحة في بعض الأماكن، و أطلقت العنان لتصوير العديد من المواقف ،إنه التصوير الذي يحي فينا معاني القرآن ويجعلنا نقرّ بأن القرآن حياة حيّة لكلمات جامدة.

المطلب الثالث: القصة

القصة:

إن من أبرز التعابير في القرآن الكريم التصوير في القصة فكما يذكر سيد قطب بأن القصة في القرآن ليست عملا مستقلا بموضوعه و إدارة حوادثه و إنما جاءت في القرآن الكريم لغرض واحد و هو الغرض الديني[2]، و كذلك يمزج التعبير القرآني بين عنصري الفن و الدين أي أنه يعرض القصة بأداء فني لغرض ديني « يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية»[3] وبذلك يجعل الفن و الدين متلازمين في إيصال الدعوة فيؤثر ذلك الفن المجسد في أعماق النفس و يكون بذلك غرضه ديني.

---

[1] –ينظر، نفسه، ص 146

[2] –ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص143.

[3] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص143.

فالتصوير الفني عرض لنا القصة القرآنية عملت فيها"ريشة المعجزة عملها فأدخلت ألوانها وضمّنتها حركات متناسقة، تجعل من القارئ و السامع وكأنه أمام مشاهد حقيقية مصوّرة.

« و لقد أراد الله تعالى أن يلمس قلوب المؤمنين بهذه الصفحات المطلوبة في سجل التاريخ ليكون هذا القصَص الحكيم عبرة وعظة لأصحاب العقول الرشيدة و الألباب القويمة و النفوس السوية لما اشتمل عليه هذا القصص من حكم و آداب، و عبر وعظات»[1] فكان الغرض الأول لوجود القصة القرآن هو الغرض الديني.

فعند قراءة القرآن نجد العديد من الآيات التي تشير إلى صدق هذه القصص و قوة تأثيرها في النفوس ،قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:62]، فكل أهداف القصص القرآني هي أهداف سامية عالية لتربية و تهذيب البشرية[2]

و قد اكتشف سيد قطب ألوانا للقصة من بينها:

رسم الشخصيات و تصوير العواطف و الانفعالات إلى جانب ألوان أخرى و لكن سنقتصر في دراستها على هذين اللونين رسم الشخصيات و تصوير العواطف و الانفعالات.

1/ رسم الشخصيات:

يرسم لنا القرآن الكريم في القصة القرآنية شخصيات حيّة متحركة، مفعمة بالحركة تُرسم من خلالها مختلف الانفعالات و العواطف فينقل لنا بها (النماذج الإنسانية) فنجد هذه

[1] –عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، ص192.

[2] – ينظر، نفسه، ص193.

الشخصية بارزة السمات، واضحة الملامح[1] فعند قراءة الشخصية ترتسم لنا واضحة بكل انفعالاتها و عواطفها.

فلنأخذ مثلا شخصية سيدنا إبراهيم: فهو نموذج للهدوء و التسامح في قوله تعالى:﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود:75] ،وصفة الحلم فيه منذ صغره كان يخلو إلى تاملاته باحثا عن إلهه قال تعال : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: 77- 81] وصل الى يقينه في وحدانية الله و أصبح يتودد في خشوع و تضرع بأن يهدي أباه.

﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤

[1] -ينظر، صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 238.

يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: 42- 45]

و لكن أباه يرفض و يأبى دعوة ولده فقال:﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَ وَٱهۡجُرۡنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم: 46] و رغم هذا التهديد من أبيه إلا أن إبراهيم بقي محافظا على هدوءه و حلمه و لم ينفذ صبره بل قال، قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكَ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾[مريم: 47،48] و بعد كل المحاولات مع أبيه و قومه يجنح في الأخير إلى تحطيم أصنامهم ثم اعتزلهم زمناً طويلاً، ثم يُرزق بولده إسماعيل، و يُفرض عليه الابتعاد عنهم وهنا يشع نور الحنان و الأبوة من صدره و يدعو الله تعالى:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 37] ثم يرى في المنام أنّه، يذبحه فيغلب عليه الوازع الديني على الحنان الأبوي و يهمّ إلى تلبية أمر الله تعالى، و بهذا انكشفت شخصية إبراهيم الحليم الأواه المنيب [1] ،الحنون، المؤمن، يقول الطبري في تفسيره قال تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَـٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ

[1] -ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، 205،204،203.

كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: 41] ، « (...) إنه صديق يقول كان من أهل الحق في حديثه و أخباره و مواعيده لا يكذب»[1]

و كذلك من بين سمات شخصيته، الصدق.

و من خلال هذا تجسدت لنا شخصية سيدنا إبراهيم من خلال هذا الوصف في القرآن و السمات التي يحملها أنّه ذلك الحليم، الصادق، الحنون فيخيل لنا من خلال هذه السّمات طريقة كلامه الهادئة المقنعة، و برّه من خلال تهجم أباه عليه و كيف رد الإساءة بالدعوة الصالحة " سأستغفر لك ربي" فكل هذه السمات رسمت في مخيلتنا شخصية علية السلام.

ثم ننتقل بعد شخصية سيدنا إبراهيم إلى رسم شخصية سيدنا يوسف عليه السلام، يتّسم سيدنا يوسف بالعديد من السمات التي تتيح لنا الطريق إلى رسم شخصيته فمن بين هذه السمات،أّنه ذلك الرجل الواعي حين راودته امرأة العزيز و لكن أبى لأمرين أولهما: الخوف من الله سبحانه و تعالى و الثاني، لم يرد أن يكون خائنا للرجل الذي أواه و راعاه ومن هنا ترتسم شخصية سيدنا يوسف المؤمن الأمين قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: 23]، يفسر الطبري :إنه ربي أحسن مثواي، يقول في هذا:« إن صاحبك و زوجك سيدي، و قوله: أحسن مثواي يقول:أحسن منزلتي و أكرمني و ائتمنني، فلا أخونه»[2]

[1]–الطبري، تفسير الطبري، حققه بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، الرسالة ،بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ–1994م، ج5، ص159.

[2]– الطبري، تفسير الطبري ، ج4، 342.

يرتسم لنا ذلك الإنسان العفيف الذي صان عرض من أحسن إليه، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: 24] يقول بعض المفسرين في تفسير هذه الآية: « و "همَّ بها" إن الله إنما أخبر يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهم بها، و لكنه رأى برهان ربه فلم يهُمّ، كما قيل ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: 83] » فسيدنا يوسف بطبعه عبد ضعيف لولا أن الله تعالى بيّن له الحق، يقول بعض المفسرين « في يوسف عليه السلام إثبات لرجولته و استطاعته على النساء. و كأنها تصرف عنه تهمة قد يعلقها به مغرض يرى في انصرافه عن المرأة عيبا من العيوب»[1] و بهذه السمات تتجسد لنا شخصية سيدنا يوسف و يصور لنا ذلك الرجل الواعي الأمين، الشريف المؤمن.

و رغم كيد النسوة له إلّا أنه زاد تمسكه بالله و لم يكن ذلك الكيد عائقا كبيرا له لأن إيمانه في ربه كان أكثر بكثير و رغم كيد امرأة عزيز مصر، و سنتي الخصب، و النقاءه بإخوته مرة أخرى و مسامحته لهم [2] كل هذه السمات ترسم لنا ذلك الرجل المسؤول، صاحب الحنكة و الذكاء في تسييره لأمور المالية إضافة إلى هذا مسامحا و طيب القلب.

و ها هو سيدنا سليمان، و قصته مع بلقيس و هذه القصة تجسد لنا شخصيتي 1/ سيدنا سليمان 2/ بلقيس، و من خلال قراءتنا للقصة ترسم لنا الشخصيتين: سليمان و بلقيس تتصور لنا في البداية شخصية الرجل و المرأة ثم الملك ثم شخصية الملكة في قوله تعالى :

[1] –حبيب يونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 09–2010، ص 73.

[2] –ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص208–209.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ [النمل: 20،21] فنستنبط من هذه الآية شخصية الملك الصارم، الذي يغضب لمخالفة النّظام و في نفس الوقت سلطان جائرا يلتمس للغائب أعذارا، ثم يعود الهدهد وهو يعلم حزم الملك فيبدأ بمفاجأة جاء له بها قال تعالى:﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾ [النمل: 22] و يستمع سليمان إلى نبأ الهدهد و لم يردّ عليه بعد، ثم يقول: قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [النمل: 27،28] و لهذه الساعة مازال الهدهد المذنب قال: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل: 27] فيلقي الكتاب إلى بلقيس قال تعالى:﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ [النمل:29،31] ، فتجسد لنا شخصيتها المسالمة الذكية التي تجنح إلى الحنكة و التخطيط و تأبى الحرب و التدمير[1] و بهذا يخيل لنا صورة بلقيس و سليمان من خلال السمات البارزة في شخصيتها الواردة في القرآن، و من هنا بين سيد قطب مختلف الشخصيات الواردة في القرآن، فنجد إبراهيم عليه السلام « نموذج الهدوء والتسامح و الحلم، كما نجد يوسف عليه السلام نموذج الرجل الواعي الحصيف و آدم عليه

[1] -ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، 210-215.

السلام نموذج الإنسان بكل مقوماته وخصائصه و سليمان عليه السلام نموذج النبي الملك الحازم العادل الحكيم»[1] .

« فالبطولة في القصص القرآني مدار المعاني الإنسانية و محور الأفكار الفلسفية، والآراء الايجابية و ليس من سبيل ظهورها مجسمة إلا في الأشخاص و لا مناص من إخراجها إلا بالصراع(...) يظلع به الأبطال ضد المجتمعات أو الأقوام، بغية تسخير الطبيعة أو جوانب الكون، و الإفادة منها و السيطرة عليها و تحقيقا لخلافة الإنسان في الأرض و تعميرها»[2].

إن تصوير الشخصيات في القرآن الكريم جاءت مصوّرة لغرض القدوة و التعلم منها و السير على طريق هؤلاء الشخصيات و جعلهم قدوة لك من أجل عيش حياة هنيئة بعيدة عن الذنوب و المعاصي و الفتن و السير على طريق النور الذي يأخذ بيدك إلى السعادة والعيش الهنيء ، فكان عرض الأحداث القرآنية مرتكزة على العديد من الخصائص أهمها هذه الخاصية و هي رسم الشخصيات، و بذلك تعنى القصة برسم الشخصيات بكل عناية، فتوضع الشخصية تبعا لنوع القصة، فقد عنت القصة القرآنية بهذه السمة البارزة–رسم الشخصيات– و وضعها في موضعها المعبر فقد عبَرت عن الشخصية أدَق تعبير[3].

2.تصوير العواطف و الانفعالات:

إن تصوير العواطف والانفعالات ، لم يكن مختلفا عماّ سبقه من تصوير الشخصيات ، مماثلا له روعة واتقاناً وجمالاً ، بل انّ العواطف ذاتها تضفي طابعاً خاصاً للعملية التصويرية.

---

[1]– صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 238.

[2]– محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، رمون للطباعة والتجليد، ط1، 1414هـ–1993م، ص 238.

[3]– ينظر، صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية (لونجان) القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص 90–100.

فالقصة القرآنية قد ضمّت كل العناصر الواجب توفّرها ،من وصف للشخصيات(خيّرة كانت أم شريرة) ،إضافة لعنصري الزمان والمكان اللذان يجعلان من الصورة القصصية مكتملة المعالم .

غداة غوصك في بحر القصص القرآني تظهر لك الملامح واضحة بارزة فترتسم لك مشاهدة القصة فيخيل لك من خلال القراءة، حركة هؤلاء البشر المتجددة، و ترتسم عواطف الحب و الكره، الشكر و البطر، الألم و الفرح واضحة جلية، و ترى انفعالات الدهشة والحيرة و المفاجأة مجسمة بارزة فهي واضحة، فقد عرض سيد قطب في العديد من القصص هذه العواطف و الانفعالات من بينها قصة موسى مع العبد الصالح، قصة مريم عليها السلام مع جبريل عليه السلام[1]

ولعلّنا نَعرِض لبعض العواطف و الانفعالات المرتسمة في قصتيّ مريم عليها السلام وصاحب الجنتين في سورة الكهف.

أما في قصة مريم عليها السلام مثّل هذه الانفعالات بهزات عديدة بداية من قوله تعالى:﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ [مريم: 16]

فقد كانت مريم عليها السلام تتعبد بغرفتها « فانتبذت: أي تباعدت عن أهلها مكانا شرقيا مما يلي الشرق عنهم فاتّخذت من دونهم حجابا أي سِترا(...) لتعتزل و تنفرد بعبادة ربّـها وتقنت له في حالة الإخلاص»[2]

فمريم الطاهرة العذراء قد اجتمعت فيها كلّ عوامل الصلاح والتقوى ،وتعرضت لهزّات عاطفية حوّلت مجرى الأحداث وغيّرت مسار القصة .

و هي تتعبد كعادتها فإذا بها تحصل المفاجأة و هي:

---

[1]–ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص195.

[2]– السّعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، ص528.

1/ **الهزة الأولى** قال تعالى:﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ [مريم: 17،18] ها هي الهزة الأولى و هي انتفاضة العذراء المذعورة في خلوتها فتترجى التقوى في نفسه" إن كنت تقيا" فقد تمثل لها أنه رجل و هي لا تعلم أنه الروح الأمين و هي فتاة بريئة تربت تربية صالحة دينية [1] و ذلك في قولها« "إني أعوذ بالرحمان منك" أي "ألتجئ برحمته أن تنالني بسوء» [2] فحين قراءة هذه الآية نشعر بخوفها و يخيل لنا حالها و هي ترتعش من شدة الخوف من هذا الرجل الغريب تترجى تقواه"و إن كنت تقيا".

2/ **الهزة الثانية:** و هي مصارحة الرجل الغريب لها مصارحة تخدش سمعة الفتاة العذراء الخجولة، و هو أنه سيهب لها غلاما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ [مريم: 19] فينتابها الفزع و الخجل، لأنَ هذا الرجل الغريب يريد إيهابها غلاما و هما لوحدهما، يا لذلك الموقف الفتاة البريئة الطاهرة العفيفة، يُصوّر لنا من خلال هذه الكلمات حالة مريم عليها السلام حزنها فزعها خوفها، قال تعالى:﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ [مريم : 20]، « و ها هي تدافع عن عرضها براحة و بالألفاظ المكشوفة فالحياء لا يجدي والصراحة أولى ،تسأله كيف يهب لها هذا الغلام وهي لم يمسسها بشر و لم تك بغيا» [3]

[1] –ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 196.

[2] –نفسه، ص528.

[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 236.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: 21]

3/ الهزة الثالثة:

قال تعالى:﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: 62] فقد وجدت نفسها حاملة طفل دون أب و أنت تقرأ في هذه الآيات فيخيّل لك صور حالتها، حزنها و هي في موقف مرعب، تفكر في كيفية مواجهة قومـــها بهذا الخبر و ماذا ستفعل بطفل الذي في بطنها فساعات يخيل لنا دموعها، و ساعات أخرى تخيل لنا ملامح الأسى التي تسيطر على وجهها، فيخيل لنا خوفها مما سيأتيها مستقبلا فتأتينا كل هذه الصور التي تعيشها هذه الفتاة العذراء المسكينة فتقول:﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: 23].

4/ الهزة الرابعة:

ولادتها للطفل فيناديها ربُها ألَا تحزني أنا معك أينما كنت، سأحميك من كلِ سوء، إنه على كل شيء قدير، هيأ لها مكان ولادتها و هيأ لها طعاما قال تعالى:﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ

رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم:23-25] و ها هي رحمته تعالى على عباده هيأ لها ما لذّ و طاب في هيأة تدهش الناظر،و بهذا ترتسم ملامح الطمأنينة على وجهها عليها السلام.

5/ الهزة الخامسة: و بعدها تنتقل مريم عليها السلام إلى قومها و هي حاملة ولدها مطمئنة و متيقنة أنَ الله معها، فسخروا منها و اتّهموها بارتكاب الفاحشة :﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: 28] ثم تشير إلى طفلها فيتعجبون من أمرها، عذراءٌ تحمل طفلا و تطلب منهم أن يسألوه ليجيبهم !!.

6/ **الهزة السادسة:**و هي المفاجأة المعجزة العظمى ،تكلم ذلك الرضيع الذي تحمله أمه[1]

قال تعالى:﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: 30،33] و في هذه اللحظة القلب لا يتوقف من شدة النبض و تكاد العين لا تتوقف عن الدمع فتدوي الأيدي بالتصفيق و في هذه اللحظة يسدل الستار و تدمع العين للانتصار.[2]

تزاوج الغرض الديني بالغرض الفني:

[1] -صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص237.

[2] -ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 199.

إنّ سيد قطب قد أشار في أكثر من موقف أنَ دراسته هذه –نظرية التصوير– ليس لغرض ديني و إنما كانت دراسته لغرض فني و يبين الغرض الفني في الدعاية الدينية[1] فكان بحثه فني جمالي بحت و كان في كل موضع يبين أن التعبير القرآني كان غرضه من كل هذه التّصويرات الجمالية الفنية غرضها و هدفها الأساسي هدف ديني فيقول: « يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية »[2] فكان القصد من الجمال الفني الذي اتخذه التعبير القرآني مخاطبا العقل ثم الوجدان و خصَ بذلك الوجدان الديني بطريقة فنية جمالية و الهدف ديني بحت.

فكان من الأغراض التي جاءت بالقصة في القرآن الكريم تبيين وحدانية الله، ووحدة الدين، و المصير الذي ينتظر الكافرين واحد، فحين عرض القرآن القصة كان فيها عنصر التكرار بحيث نجد القصة الواحدة كررت في أكثر من موضع فهذه الظاهرة –التكرار– أنشأت جمالا فنيا فيخيل للقارئ فكأنّما تكرار الاحداث بحُلَلٍ مختلفة ،إنما يوحي لاعادة الله عزّ وجل سنّته في كونه، فأهل الله وأولياؤه كلّهم يلاقون ذات المصير حين يصدّون بالحق ،ويتعرضون لذات البلاء،متفاوت الدرجات ،والنتيجة دوما واحدة نصر المؤمنين وخذلان للظالمين ، فتجد كل نبي يجيء و يقول كلمته الهادية فيكذبه قومه، ثم يأتي نبي بعده و يقول الكلمة ذاتها فيجد نفس الرد من قومه قال تعالى:﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي

[1] –ينظر،صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص251.

[2] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن،ص171.

وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ ٱللَّهِ مِنَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: 59، 64]

وَإِلَىٰ﴿ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ أَمِينٌ نَاصِحٌ ﴾ [سورة الأعراف: 65،68]

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: 73]

فتجد تكرر كلمة الهداية التي جاء بها كل نبي على اختلاف العصور و الأزمنة في حين أن الغرض واحد و هو هداية الناس.[1]

[1]- ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 171-172-173.

لم يأت التعبير القرآني لغرض التعبير أو الفن لغرض الفن أو التصوير لغرض التصوير و إنما غايته دينية سامية، فكان الغرض أو هدف التعبير القرآني، خلق الألفة بين الغرض الفني و الغرض الديني [1]. فقد كان الغرض الأساسي من هذا التعبير الفني في القصة هو التأثير في الوجدان و مخاطبة العقل حتى يستقر المغزى في النفس.

فقد سيقت القصة القرآنية لإثبات الوحي و الرسالة، و لتنذر البشرية كافة من العقاب و لتبشر الذين آمنوا و لتثبت وحدانية الله و تبين عاقبة الشر و الخير، و الصبر والشكر و البطر، و كثيرا من الأغراض الدينية فقد تناولت هذه الأغراض وكانت أداة لهذه الأغراض و هدفا لتحقيقه[2]. فلقد عرضت القصة القرآنية كل هذه الأغراض التي تم ذكرها و التي لم نذكرها بغية التأثير و أخذ الموعظة منها و السير على طريقها لاجتناب الذنوب والمعاصي للوصول إلى جنة الفردوس، فجاءت هذه القصص لتكون مواعظ للبشرية فكل قصة في القرآن الكريم تحمل العديد من الحكم بحيث إذا قرأتها واستوعبتها و جعلتها منطلق في حياتك نلت رضا الله و فزت بجنته، و هذا هو الغرض الأساسي الذي جاء به التعبير القرآني« فالوجهة الأولى للقصة القرآنية هي الدعوة الدينية»[3].

المبحث الثالث: خصائص التصوير وأثره

المطلب الأول: التخييل الحسي:

إذن فالتصوير مثل ما كانت له أدوات ، لديه كذلك خصائص من بين هذه الخصائص التخييل الحسي و التجسيم، فالتخييل الحسي هو :« القاعدة الأولى التي يقوم

[1] –ينظر، صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 251.

[2] –ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 114.

[3] –صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص 100.

عليها التصوير الفني و هو الخصيصة الأولى من خصائصه الواضحة، و السمة الأولى من سماته الظاهرة»[1] إذ يعدّ عنصر التخييل الحسي هو الخاصية الأولى في التصوير الفني، إنَه أول خطوة في التصوير، فإن أول ما تلتقط عينك الكلمة أو تحملها ذبذبات أذنك تذهب هذه الأخيرة إلى أول محطة في عنصر التصوير و هو "الخيال الحسي"، فيعتبر الخيال هو أول محطة تمرّ من خلالها الصورة فتخرج في أول حياتها ثم تكبر هذه الصورة فيعمل فيها« الخيال و في جزئياتها و يتخيلها على مختلف الأشكال كما تدع الحس يتحسسها و يتأثر بها»[2] لقد أبدع سيد قطب في إدراكه للحركة التخييلية، اكتشف معظم الصور الفنية في القرآن ثم أدركها بحسٍ مرهف و عرضها في قالب بأسلوب لا يرتقي له إلا المبدع[3].

يقول سيّد قطب هناك بعض الصور في القرآن الكريم تعرض صامتة، ساكنة في مقابل أنَ العديد من الصور التي تعرض مفعمة بالحركة و الحياة فنجد الحركة حيّة تنبض بها الحياة و هذه التي نسميها بالتخييل الحسي[4] فهذه الحركة الحية المفعمة بالحياة التي تراها تشعشع بها مختلف الألوان فسمّاها بالتخييل الحسي: إنَ أول ألوان التخييل الحسي هو:

التشخيص: فيعرفه سيد قطب: « يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، و الظواهر الطبيعية و الانفعالات الوجدانية، هذه الحياة قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية»[5] أي تنزع صفة الجمود على أي شيء و تبث فيه الحياة من انفعالات و عواطف و كأنك أمام إنسان. قال تعالى:﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 18] ، فيخيل لك الصبح و هو يتنفس يخرج زفيرًا و يدخل شهيقا يتمتع بحياة هادئة مطمئنة« و رؤية الفجر تكاد تشعر القلب أنه

[1] –صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني سيد قطب، ص 131.

[2] – نفسه، ص 131.

[3] –ينظر، نفسه، ص 131.

[4] – ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص72.

[5] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 73.

بالفعل يتنفس ! ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعربها القلب المتفتح »[1] فيخيل لك تلك الحركة التي يتمتع بها الصبح و الحياة التي تدب في أرجاء الأرض فيصوّر في خيالك كأنه إنسان يتنفس.

تأثر سيد قطب تأثيرًا شديد بهذه الصورة وصاغها في أبيات شعرية قال:

نسمات زفها الفجر الوليد بعد ما جاش بها صدر الحياة

ناعمات مثل أنفاس الورود بلَّل الظل شذاها بنداه

كانت الدنيا يغشيها السكون و ظلام الليل و النوم العميق

طفلة قد ضمها الليل الحنون ضمّة الرحمة كالأم الشفوق

ترسل الأنفاس في رفق وديع فإذا الأنفاس تلك النسمات

و إذا الوهر يحي في ابتسام ذلك الصبح و يرنوا في هدوء

كابتسام الطفل في عهد الفطام حينما يحلم بالثدي المليء

و إذا الطير قد ران النعاس فوق عينيه تنزى فصحا

يرمق النور بهمس و اختلاس فيحييه طروحا مرحا[2]

فمثلَه كطفلة نامت بأحضان الليل فجاء الصبح فأخرجها من حضنه برفق و هدوء فإذا بها ترسل أنفاس الليل و تستقبل أنفاس الصباح فإذا بابتسامة الصبح تحيَ الزهر الفوَاح.

ثم تنتقل صورة أخرى من صور القرآن في هذا اللون من ألوان التخييل الحسي وهو التشخيص في قوله تعالى :﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3842.

[2] –صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير عند سيد قطب، ص 53.

وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت:11] فهاهي الأرض و السماء سمعتا نداءا من ربهما فلبتا هذا النداء فكأنهما مخلوقتان تـدعيان و تجيبان الدعاء فإذا بها الخيال شاخص فيهما[1] فيتبين لنا هذا اللون من خلال هذين الصورتين، صورة الأرض و السماء في الطاعة، و صورة الصبح في التنفس، و الأمثلة كثيرة نكتفي بهذا القدر.

فلهذا النوع من التخييل الحسي ألوان عديدة من بينهما كذلك: **تخييل يتوقع الحركة التالية:** هذا اللون:« يتمثل في تلك الصورة المتحركة التي يعبر بها عن حالة من الحالات أو معنى من المعاني»[2] فهذه الحركة المتوقعة تترك لخيال القارئ « فإنَ الريشة المصورة المعجزة لا ترسم هذه الحركات كلها دائما و إنما تبقى الحركة الأخيرة، حيث يقف التعبير على الحركة التي قبلها»[3] أي ترسم الريشة المعجزة كل الحركات و تدع لخيالك تلك الحركة الأخيرة و ذلك متمثل في قوله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ [الحج: 11]

و من ألوان التخييل كذلك **حركة المتخيل يُنشؤها التعبير** « تتكون الصورة القرآنية من ألفاظ تبنى عليها هذه الصورة أو جزء من أجزائها و بعض هذه الألفاظ يلقي في نفس القارئ و حسه و خياله حركة متخيلة، و هذه الحركة لا ترد على الخيال لولاه، إذ يكون في ترتيب هذا اللفظ و دلالته ما يستدعيها»[4] فهناك بعض الألفاظ التي توقع الحس في نفس القارئ فتذهب بخياله إلى أماكن غير متوقعة فلولا تلك اللفظة لما جعلت تلك الصورة تتلألأ

[1]– ينظر، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 74.

[2] –سيد قطب، نفسه، ص 75.

[3]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 140.

[4]– صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ، ص 143.

و تذهب إلى ذلك المنحنى التصويري: فمثلا في قوله تعالى:﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23] فمثلا في هذه الآية لفظة قدمنا نتخيل حركة القدوم،« هكذا في لحظة قصيرة و الخيال يتبع حركة القدوم المجسمة المتخيلة، وعملية الإثارة للأعمال، و الارتفاع الهباء في الفضاء فإذا كل ما عملوا هباء منثور»[1] فلفظة القدوم هي التي حرّكت الخيال في تصوير هذا العمل و هو منثور.

و من الألوان التخيل الحسي حركات سريعة متخيلة قال تعالى:﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾ [الحج: 15] فيخيل لك بصورة سريعة من يشرك بالله كأنما يخطفه الطير بسرعة فائقة و يخيل لك صورة الريح و هي ترمي به إلى مكان بعيد على الأنظار.

أما اللون الخامس من ألوان التخييل الحسي **حركة السكون** قال تعال:﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: 4] ، فالرأس هذا الجامد يخيل إليك و هو مشتعل اشتعال النار في غابة مليء بالأشجار فيتحول ذلك السكون إلى حركة.

المطلب الثاني :التجسيم الفني:

[1] –سيد قطب، مشاهدة القيامة في القرآن، ص 114.

فهي« كل التشبيهات التي جيء بها الإحالة المعاني و الحالات صورا و هيئات»[1] فهو عملية تحويلية لكل المعاني و الحالات إلى جسم متحرك تدب فيه حركة الحياة فيخيل لك صورا متحركة في هيئات مختلفة فقد قسّمه سيد قطب إلى نوعان:

1/ النوع الأول: تجسيم من قُبيل تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس مجسم، على وجه التشبيه و التمثيل»[2] و هي معظم التشبيهات التي جاء بها القرآن الكريم تشبيه المجرد بشيء محسوس من أجل تقريب المعنى فمثلا في قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: 18] فيمثل أعمال الكفار هذه الأعمال المعنوية إلى صور مجسمة « فمشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سُدى، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها(...) هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار، فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان، و لا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث، و تصل الباعث بالله(...) مفككة كالهباء و الرماد»[3] وبذلك مثّل هذا العمل وجسده في صور حسية و منه مثّل لنا هذا التجسيد فساد هذا العمل.

2/ **النوع الثاني:** من أنواع التجسيم: « تجسيم المعنويات على وجه التصبير والتحويل »[4] ، و ربما هذا النوع الأول من أنواع التجسيم و هو التشبيه و التمثيل تفطّن له البلاغيون قبل سيد قطب إلا أن النوع الثاني أول من اكتشفه هو السيد قطب ،فقد تحول

[1] –سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 78.

[2] –صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 146.

[3] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص 2094.

[4] –صلاح عبد الفتاح الخالدي، نرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 149.

الأمر المعنوي المجرد إلى صورة حية عن طريق التخييل الحسي[1] فلقد أصبح هذا المعنى المجرد عن طريق التخييل الحسي صورة حسية مفعمة بالحركة فمثلا في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: 31] ،« فتجسد لنا الأوزار و هي آثارهم الكبيرة»[2] عبارة عن أعمال ثقيلة فوق ظهورهم « لا يقدرون التخلص منه و لهذا خلَدوا في النار و استحقوا التأييد في غضب الجبار»[3] فتصبح مجسمة و في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 208] فالسّلم هنا جسد عبارة عن مكان يدخل إليه.

فلهذا النوع من التجسيم ألوان نذكر منها:

1. **تجسيم الحالات النفسية المعنوية:** في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: 83،84،85] فيصور لك مشهدا مرعبا يعجز المتأمل في كلماته التي صورها الخيال و جسدها « فنكاد نبصر نظـرة العجز و ذهول اليأس في ملامح الحاضرين (...) في هذه اللحظة فزعت الروح من أمر

[1] –ينظر ،نفسه، ص149 .

[2] – السعدي، تسيير الكريم الرحمان في تفسير الكريم المنان، ص 235.

[3] –صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير عند سيد قطب، ص 105.

الدنيا و خلّفت وراءها الأرض و ما فيها»[1] ففي هول هذه المشاعر التي تقشعر لها الأبدان و ترتجف الروح عند سماعها من خلال تجسيد الصور أمام العيان.

2. « **وصف حالة عقلية أو معنوية:** و هي« حالة عدم الاستفادة مما يسمعه بعضهم من الهدى" و كأنهم لم يسمعوا به" أو يتصلوا اتصالا ما، فيجعل كأنما هناك حواجز مادية تفصل بينهم و بينه»[2]

و في هذا النوع تجسيم عدم الاستفادة مما يسمعونه من آيات الله و من معجزات فيأبون، فيجعل الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة تجعلهم و كأنهم لا يرون و لا يسمعون و لا يعقلون شيئا: قال تعالى:﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: 7] فيصف لك تجسيم هذه الحواجز المعنوية و كأنها مانعة ملموسة حسية[3]. فيخيل لك صورة هذه الحواجز مجسمة، و قال تعالى:﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: 8،9]

« إن أيديهم مشدودة بالأغلال إلى أعناقهم، موضوعة تحت أذقانهم و من ثم فإن رؤوسهم مرفوعة قسراً، لا يملكون أن ينظروا إلى الأمام ! ومن ثم فهم لايملكون حرية النظر و الرؤية و هم في هذا المشهد العنيف ! و هم إلى هذا محال بينهم و بين الحق والهدى بسد من أمامهم و سد من خلفهم؛ فلو أرخى الشد فنظروا و لم تنفذ أبصارهم كذلك من هذه

[1] –سيد قطب، في ظلال القرآن،ج6، ص 3471.

[2] –سيد قطب، التصوير الفني في القرآن،ص 81.

[3] –ينظر، نفسه، ص 82.

السدود ! و قد سدت عليهم سبيل الرؤية و أغشيت أبصارهم بالكلال !»[1] فتجسد ذلك الغل الموجود في العنق فلم يستطيعوا أن يحفظوا رؤوسهم من شدة ذلك الغل الموجود في العنق[2] فقيّد رؤوسهم على الحركة فيخيل لك صورة هذه الأغلال مجسمة في عنق هؤلاء المشركين.

و من الألوان كذلك:

3. « **يكون الوصف الحسي بطبيعته، فيختار عن الوصف هيئة تجسمه**»[3] مثلا في قوله تعالى:﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: 55] ،

فهذه الصورة من صور العذاب في الآخرة يوم يغشاهم من فوقهم و من تحتهم فيخيل صورة الإحاطة من كل الجوانب[4] فجعل صفة الغشية مجسمة فتصبح محسوسة.

و في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [يونس: 27] فيجسد لك الليل قطعا « فيستحيل الليل جسما محسوسا، يمزق قطعا، ثم تغشى الوجوه بهذه القطع فيكون مشهدا فريدا»[5]

---

[1] –سيد قطب، في ظلال القرآن،ج5، ص 2959.

[2] –ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص 761.

[3] –سيد قطب ،التصوير الفني في القرآن،ص82.

[4] – ينظر،سيد قطب، مشاهد القيامة، 230–231.

[5] –سيد قطب ،مشاهد القيامة، ، 146.

فيخيل لك صور قطع الليل مفرقة و هي تغشى وجوهم. يا لهذه الصورة وياالهذا الإعجاز سبحان الذي هو على كل شيء قدير.

4. **وصف المعنوي بالمحسوس:** كقوله تعالى:﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾[المزمل: 05] فيصف اليوم بالثقل، كذلك قوله تعالى:﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٞ غَلِيظٞ ﴾ [إبراهيم: 17] فيصف العذاب بالغلاظة[1]

5. **و كذلك من الألوان التجسيم**« لما كان هذا التجسيم خطة عامة، صوَّر الحساب في الآخرة كما لو كان وزنا مجسما للحسنات و السيئات»[2] في قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾ [القارعة: 6،7،8،9] فيصور لك الحسنات و السيئات جملة واحدة فكأن هذه الحسنات جسما واحدا ،التي جُمعت في الدنيا

متفرقة أصبحت جسما واحدا فتحط على الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة هنيئة ، وأمّا من خفت موازينه فجزاؤه نار جهنم يلقاها مهموما مدحورا.

«و من التجسيم إذن فضلا عن كونه عنصرا من عناصر تزين الصورة فإنه وسيلة مهمة لتوضيح المعنى و جلائه. فالذي ندركه بالحس هو الذي نستطيع تخيله إذ ليس ثمّة تخيل منقطع عن الحواس»[3]

---

[1] –ينظر،سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص 82.

[2] –نفسه ، ص 83.

[3] د.عبد الاله الصانع ،الصورة الفنية معيارا نقديا، ، دار القائري، ص 307.

فستطاع التجسيم الذي يعتبر من الخصائص التصوير أن يجعل لنا الصورة في هيئة مجسمة بكل ألوانها التي تم ذكرها، و كذلك التخييل الحسي الذي وُضع لنا، جعل للصّورة طابعها الحسي الحركي، و من خلال هذه الخصائص اكتمل جمال الصورة بكل جوانبها فوصلت لنا متلألئة متزينة بكل ألوان الحياة فأدركها العقل و شربتها المشاعر و أحسّت بها الوجدان فاستقرت في النفس، و هذا ما كان يرنو إليه التعبير القرآني.

فهناك العديد من الخصائص التي لم نتطرق إليها، اكتفينا بهذا القدر فقط.

المطلب الثالث :أثر نظرية التصوير في الدراسات القرآنية المعاصر:

« قد كان لنظرية التصوير أثر كبير في الدراسات القرآنية المعاصرة بحيث نجد العديد من المؤلفات تأثرت و بَنَتْ دراستها إثر هذه النظرية سواء أكانت هذه المؤلفات "من الناحية البيانية الأدبية من القرآن أو التي تحدث عنها إعجاز القرآن أو عرضت من مباحث علوم القرآن من الاستفادة من فكرة التصوير أو الإشارة إليها من قريب أوبعيد»[1] فكل هذه المؤلفات تأثرت بنظرية التصوير و بخصائصه.

و الدليل أنه أول من تحدث عن التعبير القرآني من جانبه الفني الجمالي أي الأداة المفضلة في التعبير القرآني هو سيد قطب و لم يتطرق أحد قبله إلى هذه القضية ولكن الأمر الذي يحير الأذهان أنَ الكثير من أصحاب هذه الدراسات لم يشيروا إلى أنَ سيد قطب هو رائد هذه الفكرة، فنلاحظ إهمال مكانة سيد قطب و الإغفال من طرف كثير من الباحثين و خاصة أصحاب الدراسات القرآنية المعاصرة"[2] فمن النزاهة و الأمانة العلمية أن تشير هذه الدراسات إلى صاحب هذه النظرية.

فمن بين هذه الدراسات :

[1] عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 327.

[2] – ينظر، عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص 327–328.

من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي:

يعتبر هذا الكتاب من أوائل الكتب التي ظهرت بعد "كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم" لسيد قطب، و برغم من هذا إلاّ أنّه لم يذكر سيد قطب و لم يشير إليه حتى[1].

حيث نجد في مبحث القراءة الأدبية: حينما تكلم عن بعض الآيات في –سورة البقرة– بقوله في كلمة"الناس" و قال أنَ اختيار هذه الكلمة ستر للمنافقين علَهم يرتدون عن نفاقهم، فعرض هذه الآيات عرض أدبي و في الآية " و ما يشعرون" تصوير صادق لهؤلاء المنافقين [2]، فبين فيها التصوير و التناسق الفني.

كما تكلم عن القصة في القرآن الكريم و قوة عرضها و تسلسلها، و تكلم عن التصوير الملموس في قصة إبراهيم عليه السلام، و أشار إلى أن الهدف من القصة في القرآن الكريم هي الوعظ و الرشد[3]، و هذا نجده عند سيد قطب تكلم عن خصائص القصة في كتابة التصوير الفني.

كذلك نلاحظ تأثيره بالتصوير حينما تكلم عن التصوير في مبحث التصوير بالاستعارة فذكر بعض المشاهد الحية، و عن التعبير المصور للأحداث ففي قوله تعالى:وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴿١٠٣﴾ [سورة آل عمران: 103] فإن تلك المتينة التي تربطك بدين الله تثير في نفسك ذلك المعنى القوي المصور[4]، و ظهر ذلك التأثير بالتصوير واضحا جليا.

---

[1] –ينظر، نفسه، ص 329.

[2] –ينظر، أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر، د.ط، مارس 2005، ص 29–30.

[3] –ينظر، نفسه، ص 276–280.

[4] – ينظر، أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص 168.

تكلم عن التصوير و ظهر أثره كثيرا في هذا الكتاب من خلال المباحث التي تمَ ذكرها وأخرى لم نذكرها ،إلا أنه لم يشير إلى من تأثر به في التصوير و من كان له الفضل في اكتشاف هذه النظرية.

كما نجد من المؤلفات كذلك:

التفسير البياني للقرآن الكريم:عائشة عبد الرحمان

للدكتورة عائشة عبد الرحمان–بنت الشاطئ– حيث تكلمت في مقدمة الطبعة الأولى أن المنهج المتبع في درس التفسير منهجا تقليديا، أثريا حتى جاء الشيخ" الأستاذ محمد الخولي" فخرج من النمط التقليدي، و ذكرت أن التفسير الأدبي للقرآن إلى حد اليوم مازال محصورا في نطاق مادة " التفسير" دون أن ينتقل إلى الدرس البياني، كما ذكرت محاولة الدكتور مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن [1] كما ذكرت العديد من الكتب الذين تطرقوا إلى إعجاز القرآن و اعتنوا به إلا أنه مع الأسف لم يذكر سيد قطب في كتابها هذا و لم تشر إليه لا من بعيد و لا من قريب.

و كذلك من الكتب التي لها الأثر في نظرية التصوير كتاب:

المعجزة الخالدة: للدكتور حسن ضياء الدين عتر:

تكلم الدكتور حسن ضياء في هذا الكتاب عن المعجزة–القرآن– فأفرد له 3 أبواب ، **الباب الأول:** المعجزة في القرآن الكريم و الباب الثاني دلائل المعجزة العظمى و الباب الثالث بيان إعجاز القرآن الكريم، حيث تكلم في هذا الباب عن دلالة القرآن المبين على أن إعجازه قائم فيه ، و بيّن أوجه الإعجاز القرآن و أقرّ بأن أول وجه من أوجه الإعجاز القرآني هو: الأسلوب البياني للقرآن و تكلم في هذا الوجه عن فصاحة الألفاظ القرآنية و روعتها، و

[1] –ينظر، عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، 1962، ج1، ص 14.

فصاحة جمل القرآن و تراكيبه، و بلاغة القرآن المعجزة و تكلم عن التشبيه في القرآن والتصوير الحي في القرآن، و ذكر خصائص أسلوب القرآن البياني[1] فعند قراءة هذا المبحث نلحظ ذلك التأثير الواضح ،كما تكلم في مبحثٍ عن أوجه الإعجاز القرآن عن الإعجاز النفسي في القرآن الكريم أو تأثير القرآن و فعاليته في الأفئدة و نلحظ ذلك التأثير من كتاب التصوير الفني في القرآن في باب سحر القرآن الذي تكلم فيه سيد قطب عن سحر القرآن في قلوب كل من سمعه و أدرج الدكتور ضياء قصة عمر ابن الخطاب حينما سمع سورة طه التي تكلم عليها سيد قطب في كتابه[2] ، فلم يشر إلى كتاب التصوير الفني و لكنه أدرجه في قائمة المراجع في آخر كتاب.

كل هذه الكتب التي تأثرت بالكتاب التصوير الفني و نلحظ هذا الأثر البليغ إلا أنهم مع كل الأسف لم يعطوا للرجل حقه و لم يشدوا بفضله و لو بالقليل فمنهم من لم يشر إليه قط و منهم من ذكره في حواشيه، كل هذه النماذج تأكد غياب الأمانة العلمية العديد من الباحثين.

[1] -ينظر، حسن ضياء الدين عتر، المعجزة الخالدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط3، 1415-1994، ص 264-275.

[2] -ينظر، نفسه، ص 341-342.

الخاتمة

نخلص في الأخير إلى نتائج أهمها :

- ظهرت الحاجة إلى معرفة معاني ألفاظ الغريب بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلم، فلجأ العلماء إلى العربية لمعرفة معنى الألفاظ .
- نزل القرآن الكريم فأعجزت كلاماته العرب .
- البحث مكمن الإعجاز.
- ظهرت نظرية النّظم التي كشفت عن تعانق السياق وتوخّي معاني النحو ففتحت أبواب كثيرة للدارسين في النظر إلى الكلمة في سياقها.
- إنّ الصورة يختلف مفهومها من أديب إلى آخر، كما يختلف مفهومها البلاغي عن مفهومها عند السيد قطب، فمفهومها البلاغي يرتبط بالاستعارة والكناية والتّشبيه، أمّا مفهومها عند سيد قطب فني جمالي أساسه الخيال، فالتصوير هو أجمل طرائق التعبير و أفضلها، استطاعت ألفاظ القرآن أن تصوّر معانٍ ذهنية، ينتقل المعنى إلى الذهن ويشكل صورا في أذهاننا، كما استطاعت أن تعبّر عن حالات معنوية جسّدتها.
- للتصوير أدوات يقوم عليها وهي أسماء أفعال حروف.
- أما التصوير بالآية فهناك العديد من الآيات صوّرت مشاهد وعشنا العديد من معانيها.
- التصوير في القصة غرضه الأساسي ديني واكتشف سيد قطب ألوان عديدة للقصة أهمها :

رسم الشخصيات وتصوير العواطف والانفعالات .

- رَسم التّعبير القرآني الشخصيات من خلال القصة القرآنية، فنجد هذه الشخصيات ذات سمات بارزة و واضحة.
- رَسْم العواطف والانفعالات هو الآخر لم يختلف عن رسم الشخصيات بل كان مماثلا له في الروعة والإتقان.

- كان الغرض من التصوير الفني في القصة هو مزج الغرض الديني بالغرض الفني.
- وأخيرا أثر التصوير في الدراسات المعاصرة كأمثال عائشة بنت الشاطئ التفسير البياني، والدكتور احمد بدوي من بلاغة القران، والمعجزة الخالدة حسن ضياء الدين عتر وهذا ما استنتجتاه من فهارسهم .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود.

1-أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن، إشراف عام داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر، د.ط،مارس 2005.

2-أحمد شامية، خصائص العربية و الإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط ، 1995م.

3-الأخفش الأوسط (أبو سعيد بن مسعدة) (ت 615 هـ) ، معاني القران، تحقيق هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر، ط1، 1411 هـ -1990م.

4-أشرف أحمد حافظ، الاستشهاد بالحديث الشريف في المعاجم العربية،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية،مصر،د.ط

5-أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، د.ط .

6-المكودي، شرح المكودي على ألفية ابن مالك،ضبطه إبراهيم قلاّتي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ط.

7-عبد الإله الصانع، الصورة الفنية معيارا نقدية، دار القارئ، د.ط.

8- الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب) إعجاز القرآن، تحقيق السيد احمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط.

9-تمام حسان، بيان في روائع القرآن، عالم الكتب،القاهرة،مصر، ط1، 1413 هـ - 1993 م.

10- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي، بيروت،لبنان، ط3، 1992 م.

11- الجاحظ (عثمان عمر بن بحر) (ت 355 هـ)، البيان و التبيين، قد له وشرحه الدكتور علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د.ط، 2002 م.

12- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الإمامين الجليلين، تقديم عبد القادر الأدناؤوط، دار ابن كثير،د.ط.
13- الجوهري (إسماعيل بن حماد) (ت 292هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) ، تحقيق عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ط4، 1990 م.
14- حبيب يونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 09- 2010 م.
15- حسن ضياء الدين عتر، المعجزة الخالدة،دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط3، 1415 هـ - 1994 م .
16- عبد الحليم حفنى، التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مصر، د. ط، الإخراج ، الفني،محمد المحجوب، 1992 م.
17- عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري، دار هومة، بوزريعة، الجزائر،د.ط،2005 م.
18- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم حسين بن محمد)، المفردات في غريب القران، تحقيق وإعداد مكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط.
19- ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن الازدي)(ت390-457هـ)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده ،حققه وفصله وعلق حواشيه محمد بن محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان،ط5،1401هـ-1981م.
20- الرّماني والخطابي و عبد القاهر الجرجاني،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام،دارالمعارف،القاهرة،مصر ،ط3،1976م
21- روبرت دي بوقراند، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسان، علم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1418 هـ - 1998 م.

22- الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني)،تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم الترزي، الفيصل، الكويت ، ط1، 1421هـ-2000م،

23- الزجّاج (أبو إسحاق ابراهيم بن السري) (ت 311 هـ)،معاني القران واعرابه، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب،بيروت، لبنان، ط1، 1408 هـ - 1988 م .

24- الزجّاجي (أبوالقاسم بن إسحاق)، الامالي لزجاجي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل،بيروت، لبنان ، ط2، 1407 هـ - 1987 م.

25- السعدي (عبد الرحمان بن ناصر) ،تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ،قدم له محمد بن صالح العثيمين و عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل،دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، 1426 هـ- 2005 م.

26- ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد) (ت 466 هـ)، سر الفصاحة، المحقق إبراهيم شم الدين، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، ط1،1431 هـ- 2010 م.

27- سيد قطب :

*1- التصوير الفني في القرآن، دار الشروق،القاهرة،مصر، د.ط.

*2- في ظلال القرآن،دار الشروق، القاهرة،مصر، ط15، 1408 هـ- 1988 م.

*3- مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط16، 1427 هـ- 2007.

28- السيوطي(عبد الرحمان جلال الدين السيوطي) (ت 911 هـ)، الإتقان في علوم القران، حققه وعلق عليه فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان، د.ط، 1425 هـ- 2004 م.

29- الشريف الجرجاني(علي بن محمد السيد)(ت 816 هـ)،معجم التعريفات،تحقيق ودراسات محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة،القاهرة، مصر،د.ط.

30- الشيرازي البيضاوي(ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد)(ت 691 هـ)،أنوار التنزيل و أسرار التأويل ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان، ط1.

31- عبد الصبور شهين، عربية القرآن، مكتبة الشباب،.ط.

32- صلاح الدين عبد التواب الصورة الأدبية في القران الكريم، إشراف محمود علي مكي، الشركة المصرية العالمية لونجان، الجيزة، مصر، ط1، 1995 م.

33- صلاح عبد الفتاح الخالدي، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر،د.ط

34- الطاهر بن عاشور(محمد الطاهر بن عاشور) ، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م.

35- الطبري، تفسير الطبري، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان، ط1، 1415هـ -1994 م.

36- عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، 1962.

37- عمار الساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، ط1 ، 2008 م.

38- عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1427 هـ- 2006 م.

39- الفراء (أبو زكرياء يحي بن زياد) (ت 207هـ)، معاني القرآن ، عالم الكتب،بيروت، لبنان، ط 3 ، 1403 هـ- 1983 م.

40- فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، خصائص القرآن الكريم،دار العبيكان، الرياض، السعودية، ط10، 1420 هـ- 1998 م.

41- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، مكتبة الأنجو المصرية، القاهرة، مصر، د.ط ، 2005 م.

42- عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي) (ت 471هـ)

*دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر، د.ط.

*أسرار البلاغة ،اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى و ميسّر عقاد،مؤسسة ناشرون ،دمشق،سوريا،ط1 ،1428 هـ-2007م

43- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) (ت276 هـ)، تفسير معاني القرآن، تحقيق السيد م احمد صقر،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1397 هـ- 1978 م.

44- ابن كثير (أبو الفراء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي) (ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد، السلامة، د.ط.

45- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، اعتنى به واخرج أحاديثه أيمن نصر وشريف عبد الله وآخرون، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر،1426 هـ-2005م.

46- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)(ت1094هـ) ، الكليات معجم فيه المصطلحات والفروق،طبعه و وضع فهارسه ،عدنان درويش ومحمد المصري، الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1419 هـ- 1998 م.

47- ابن مالك(أبو عبد الجمال الدين محمد الطائي الأندلسي)(ت.598-672هـ)،دار الاثار،القاهرة ،مصر،ط2، 1422هـ-2003م.

48- مثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دار وائل ،عمان،الأردن، ط1، 1429 هـ، 2008 م.

49- محمد أديب عبد الواحد جمران ، معجم الفصيح من اللهجات العربية و وافق منها في القراءات العربية،مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1421هـ، 2000 م.

50- محمد خان،أصول النحو العربي،مطابع جامعة محمد خيضر،بسكرة ،الجزائر،د.ط،2012.

51- محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، رمون للطباعة والتجليد، ط1، 1414هـ- 1993 م.

52- محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، تقديم علي جمعة، دار السلام، القاهرة، مصر،ط1، 1427 هـ- 2006 م.

53- محمد عبد المنعم خفاجي و محمد السعدي فرهود وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1 ، 1412 هـ- 1992 م.

54- محمد الوقيدي ومحمد العمري، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط، 1999 م.

55- محمود احمد الصغبر، الأدوات النحوية في كتب التفاسير ، دار الفكر، دمشق، سوريا،ط1، 1422 هـ- 2001 م.

56- محمود سليم هيجانة، الصورة النفسية في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، جدار للكتاب العالمي ، الأردن، عمان، ط1، 1428 هـ- 2007 م.

57- محمود فجال ،السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، أضواء السلف، د.ط.

58- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم، الرياض، السعودية، ط2 ، 1416 هـ- 1996 م.

59- أبو المظفر السّمعاني (منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي)(ت489 هـ)، تفسير القران، تحقيق ابن بلال غنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1 ، 1418 هـ - 1997 م.

60- ابن منظور (جمال الدين أبوا الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة)(ت630هـ) ، لسان العرب،تحقيق عبد الله علي الكبير و محمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط.

61- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001 م.

62- ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين) (توفي 791 هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ، ط11، 1383 هـ- 1963 م.

63- وفاء كامل فايدة، مجامع العربية وقضايا اللغة ، عالم الكتب، د.ط، 2004 م.

64- غريب القرآن في شعر العرب سؤالات ابن الارزق لابن عباس ،تحقيق محمد عبد الرحيم واحمد نصر الله،مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت ،لبنان،ط1،1413هـ-1993م.

المقالات:

65- حسن حميد فياض ،الصورة المفردة والمركبة في سورة الواقعة ،مجلة مركز الدراسات الكوفة ،العدد السادس، 2007 م.

الفهرس

الفهـــرس

العنـــوان		الصفحـة
مقدمة	.....	أ-ج
الفصل الأول : الكلمة القرآنية بين الإعجاز والتصوير	.....	4
1-المبحث الأول : البحث عن معنى الكلمة القرآنية	.....	5
المطلب الأول: تعريف الكلمة	.....	5
المطلب الثاني : نشأة البحث عن معنى الكلمة	.....	7
المطلب الثالث : تدوين الكلمة	.....	16
2-المبحث الثاني : الكلمة والإعجاز القرآني	.....	20
المطلب الأول: نواة الإعجاز	.....	20
المطلب الثاني : الكلمة نواة الإعجاز	.....	23
المطلب الثالث : المعنى نواة الإعجاز	.....	29
3-المبحث الثالث : الكلمة والسياق القرآني	.....	31
المطلب الأول: الكلمة والسياق	.....	31
المطلب الثاني : نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني	.....	33
المطلب الثالث : نظرية التصوير عند السيد قطب	.....	37
الفصل الثاني: التصوير و أدواته و خصائصه	.....	42
1-المبحث الأول: التصوير و ما يتضمنه	.....	43
المطلب الأول: الصورة والتّصور	.....	43
المطلب الثاني: التصوير	.....	45
المطلب الثالث: من المعاني الذهنية إلى الصور الحسيّة	.....	48
2-المبحث الثاني: أدوات التصوير	.....	53
المطلب الأول: الأسماء و الأفعال والحروف.	.....	53
المطلب الثاني: الآية.	.....	56
المطلب الثالث: القصة.	.....	58
3-المبحث الثالث: خصائص التصوير و أثره	.....	73

المطلب الأول: التخييل الحسي 73
المطلب الثاني: التجسيم 77
المطلب الثالث: أثر التصوير في الدراسات القرآنية المعاصرة. 82
الخاتمة 87
قائمة المصادر والمراجع 90
الفهرس 97

الملخص :

الكلمة لها دور فعّال في إبراز الدلالة الكامنة وتصويرها لمعانٍ تبث فيها روح الحياة، تجعلها مشاهد مجسدة مفعمة بالحركة، وتميزت الكلمة القرآنية ، بجمعها الكثير من المعاني في قليل من الألفاظ فأصبح هذا التناسب بين فصاحة اللفظ ورقي المعنى؛ الذي جعل المعنى راسخا في الذهن ،ثمّ تحول إلى صورٍ مختلفة حوّلت الجمود إلى حركة .

Summary of study in English:

The word has an active role in demonstrating its underlying significance and its depiction of meanings which bring the word itself to life; these meanings converted it into lively embodied scenes. The Quranic word is characterized by its collection of many meanings in a few utterances ; so , this Kinship and brotherhood between the word's eloquence and the meaning's promotion not only embedded the meaning in mind but also turned it into different pictures transformed inertia into motion.